الفصل الثاني

الرحالة الزائرون

لوادي النطرون

الفصل الثاني

الرحالة الزائرون لوادي النطرون

لقد زار وادي النطرون منذ بداية القرن الرابع الميلادي وحتى القرن العشرين كثيرًا من الرحالة اختلفت دوافعهم، فبعض الرحالة كانت رحلته بدافع الحج لمركز الرهبنة المسيحية، والبعض الآخر كان لطلب العلم بالتعرف على طقوس وقوانين الرهبنة ومبادئها، ونقلها إلى بلادهم، والبعض كانت دوافعه للتجارة، أو لغرض شخصي من أجل البحث عن الكنوز المطمورة في الوادي، أو شراء المخطوطات أو سرقتها. وعلى الرغم من أن كثيرًا منهم كان حافزهم الكسب المادي والشهرة، فقد أفاد معظمهم أدب الرحلات من خلال التعرف على بعض الرحالة ودوافع زياراتهم للوادي، وأيضًا مادة التاريخ بما أسهبوا فيه من وصفٍ، كان شاهدًا على أحوال وادي النطرون في تلك الحقبة، وهذا ما سوف نتعرض له في هذا الفصل.

أدب الرحلات في الكتاب المقدس

الرحلة هي انتقال واحد أو جماعة أو قبيلة أو أمّة من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة، كجدب بلادهم وضيقها أو لاضطهاد وقع عليهم، أو على أثر حروب أتلفت أرزاقهم وأسباب معيشتهم، ومع هذه الأسباب تسمي رحلاتهم مهاجرة، وهذا شأن الأمم منذ قديم الزمان[1]. وقد خلق الله الإنسان محبًّا للحركة والتنقل، وأمده بالعقل الذي يدعوه لذلك، والجسم القوى الرشيق الذي يعينه على الانتقال من موضع لآخر بحثا – في البداية– عن طعامه وشرابه، هربًا من القوى المعادية، وقد بدت له عاتية مخيفة، سواء كانت الطبيعة من برق ورعد وعواصف أو فيضانات وزلازل وبراكين أو كانت ضخمة كالديناصورات والأفيال، أو مفترسة كالأسود والنمور والذئاب. فالحركة روح الحياة وهي سمة أساسية في التركيب

(١) بطرس البستاني: دائرة المعارف، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، د. ت.

الجسدى والنفسى للإنسان، وقد هيأه الله لها، وجعلها إمكانية ضرورية لحياته، تتسق مع الهدف من إيجاده والغاية التي خلق لأجلها، وهي تعمير الأرض وعبادة الله تعالى [١].

وتشير كتب التاريخ الطبيعي والأنثروبولوجيا وغيرها إلى أن الإنسان لم يتوقف عن الحركة والتنقل، حتى بعد أن تعلم الزراعة وعرف كيف يستقر ويبني ويؤسس المجتمعات. لقد ظَلَّ على مدى العصور يتطلع بعينيه إلى الآفاق البعيدة – ولا يكف عن التفكير فيما تضمه من الخلق والموجودات وفيما تحمله من الكنوز والخيرات، خاصة حين تضيق به الحال ويجف الماء والضرع، أو تضنُّ الطبيعة عليه بما يملأ بطنه ويسعد قلبه، وهو إلى جانب ذلك مشوق إلى معرفة الشمس الذي منه تشرق، وإلى معرفة مسكنها الذي إليه تغرب، وحريص على أن يعرف من أين ينبع النهر الذي يتدفق في أرضه، وإلى أين ينتهي، وكلما مرت السنون رأى من الدنيا عجبا إثر عجب، وجديد يعقب جديدًا، وحديثًا ينسخ قديمًا، وهو لا يستطيع أن يفكر أبدًا وهو جالس في كوخه أو داره، فما الفكر في هذه الحالة إلا عجلات تدور في موضعها، وليس إلا خطوات تسير في محلها، وهو يريد أن يعرف، ودوافع الرغبة في المعرفة بلا نهاية، ذاتية وموضوعية، عقلية ونفسية وغيبية أيضًا [٢].

على أية حال، كل هذه الرحلات بدأت محدودة، ثم اتسعت مع مر الزمن، فالإنسان وُلد راحلًا، وإن أعجزته الرحلة، تخيَّل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال، ونجد ذلك مبثوثًا في الأساطير الأولى، كما نجده ماثلًا في الحروب والفتوح القديمة، وما سطره الملوك الأول في مصر وغير مصر. ومن المعروف أن ملوك مصر سجلوا رحلاتهم في آسيا. وعلى جدران معبد الدير البحري بمصر العليا تصاوير بديعة لسفن الملكة حتشبسوت من ملوك الأسرة الثامنة عشرة وهي عائدة من رحلتها من بلاد «بونت» [٣].

وكان للفينيقيين رحلات بحرية كبيرة خاضوا فيها عباب المحيط الأطلنطي، وحطوا رحالهم في الجزائر البريطانية، وأقاموا مستعمرات لهم على طول بحر الروم في الجنوب، وفي

---

(١) فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢م، ص ١٧.

(٢) نفسه: ص ١٧-١٨.

(٣) بلاد بونت: حاليًا هي بلاد الصومال وتقع في جنوب شرق قارة أفريقيا.

إسبانيا وخلفهم الإغريق يقيمون مستعمرات لهم في جنوب البحر الأسود وفي بحر الروم، وقد عنوا عناية واسعة بوصف البلدان والأقاليم التي زاروها، وقدموا لنا كثيرًا من المعارف الجغرافية، وهم أول من تحدثوا عن كروية الأرض وبأن وراء البحار والمحيطات عوالم مسكونة، تقطنها شعوب مختلفة، ويعد أكبر رحاله عرفه الإغريق هيرودوت الذي زار مصر وقبرص وفينيقيا وآشور وإيران وتوغل نحو الشمال إلى البسفور، وأودع مشاهداته في هذه الزيارات أو الرحلات تاريخه الكبير. وخلفه طائفة من مؤرخي الإغريق حفلت كتبهم بأخبار الأمم المجاورة، ولعل أهمهم «بلوتارك» الذي عنى بتاريخ اليونان والرومان، ومنه استمد شكسبير كثيرًا من مسرحياته. وتصبح روما عاصمة العالم القديم، ويتوغل أبناؤها في إمبراطوريتها الواسعة، ويجمعون من هنا وهناك أخبار الأمم والشعوب، حتى يمكن أن يقال إن مؤرخيهم جمعوا لنا ما كان معروفًا عن سطح الأرض في زمانهم وفي مقدمة هؤلاء المؤرخين يوليوس الذي دون في كتابه «التعليقات» حروبه في الغال، ووراءه كثير من مؤرخي الرومان، يقصون الأسفار والرحلات ويصفون البلدان النائية، وممن برعوا في ذلك «تاسيت» الذي قص أحوال التيوتون الأوائل في كتابه «جرمانيًا»[1].

وسجل لنا الكتاب المقدس أخبار تعود لأبي الآباء إبراهيم في ارتحاله من حاران[2] إلى مصر حيث ذكر الكتاب «وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، لأَنَّ الْجُوعَ

(١) شوقي ضيف: الرحلات، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦م، ص ٧-٨.

(٢)حاران (حران): اسم ربما كان من أصل أكادي معناه «طريق»، «قافلة» وهو اسم يطلق على مدينة بين النهرين (دجلة والفرات)، على نهر بليخ وهو فرع لنهر الفرات وتقع على مسافة ٢٨٠ ميلًا إلى الشمال الشرقي من دمشق (عاصمة سورية). وكانت المدينة مركزًا تجاريًّا، لكونها على أحد الطرق التجارية الرئيسية بين بابل والبحر المتوسط، وقد اتخذت إله القمر إلهًا لها وتغرّب فيها تارح وابراهيم مدة من الزمن، ومات تارح هناك. وسكنت فيها أسرة ناحور، ولابان أخو رفقة، ويعقوب. وقد استولى عليها الآشوريون كما ورد ذلك في ٢ ملوك ١٩: ١٢ وأشعياء ٣٧: ١٢. وفي ٥٣ ق.م. انهزم القائد الروماني كرسوس، رفيق بومباي ويوليوس قيصر بالقرب من حاران أمام القائد الفارسي سورينا، وذُبح بطريقة وحشية حالًا بعد ذلك. والمدينة حاليًا قرية صغيرة لا تزال محتفظة بذات الاسم. لمزيد من التفصيل انظر: الكتاب المقدس سفر التكوين، والملوك الثاني.

فِي الأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا»[1] ونسله من بعده [2]، وفي زمن المملكة يهرب يربعام بن ناباط أحد معارضي سليمان الملك إلى مصر[3]، وكذلك في زمن يهوياقيم الملك حيث يفر أحد الأنبياء هاربًا منه[4]، وبعد السبي يهرب رجال إسرائيليون هم وعائلاتهم إلى مصر[5]، وفي زمن المكابيين يقيم اليهود معبدًا لهم في منطقة أون – المطرية وعين شمس حاليًا –يدعى معبد أونياس.

على أية حال، تعدُّ رحلة العائلة المقدسة من أهم الرحلات وأشهرها في العالم؛ لأنها الرحلة التي أمر فيها الربُّ يوسف النجار بالهروب إلى مصر، من وجه هيرودس الذي سمع أخبار المجوس، حتى اضطرب وأمر بقتل أطفال بيت لحم من ابن سنتين فما دون[6]، وأطاع يوسف، وبدأ رحلته، ويذكر التقليد القبطي أن سالومي رافقت مريم ويوسف والطفل يسوع في رحلتهم الشاقة إلى مصر، للهروب، ودخلت العائلة المقدسة أرض مصر من مدخلها الشرقي عن طريق شمال سيناء من جهة الفرما بين العريش وبورسعيد، وبعدها اتجهوا إلى تل بسطة قرب الزقازيق، ولم يقبلهم أهلها فتركوها بعد أيام إلى منطقة مسطرد وصلوا إلى بلبيس ثم سمنود ومنها إلى سخا، وعبروا النيل متجهين إلى برية شيهيت بوادي النطرون[7].

وبعد ذلك اتجهت العائلة إلى عين شمس إلى المكان المعروف بالمطرية، واستظلوا تحت شجرة تعرف بشجرة مريم العذراء. ثم ساروا جنوبًا إلى الفسطاط في منطقة حصن بابليون، وهناك سكنوا المغارة الموجودة في كنيسة القديس سرجيوس (أبي سرجة) ومنها للمعادي حيث

---

(١) الكتاب المقدس: سفر التكوين (١٢: ١٠).

(٢) الكتاب المقدس: سفر التكوين (تك٤٢– ٤٦).

(٣) الكتاب المقدس: ملوك الأول (١١: ٤٠).

(٤) الكتاب المقدس: سفر إرميا (٢٦: ٢١).

(٥) الكتاب المقدس: ملوك الثاني (٢مل ٢٥: ٢٦).

(٦) الكتاب المقدس: إنجيل متى الأصحاح الثاني (١: ١٢).

(٧) ماجد عزت إسرائيل: وادي النطرون في القرن التاسع عشر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٩م، ص٢٢. انظر الشكل رقم ٩، ١٣.

عبروا النيل إلى البهنسا ثم سمالوط، ثم إلى منطقة جبل الطير، وعبرت مرة ثانية إلى الأشمونين[١]، ومنها ذهبوا إلى قرية تسمى فيلبس وهي حاليًا ديروط الشريف، ثم اتجهوا إلى القوصية، وقيل إن أهل المدينة طرودهم؛ فذهبوا إلى قرية ميرة[٢] غربي القوصية وقضوا فيها عدة أيام، ومن ميرة إلى جبل قسقام حيث دير العذراء الشهير بالمحرق، وكان المفروض في العودة أن تكون إلى أرض إسرائيل حسب أمر الرب ليوسف[٣]، ولكن لما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضًا عن هيرودس أبيه أوحى إليه في حلم أن يذهب إلى الجليل، فأتى وسكن في الناصرة [٤] لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصريًّا [٥].

---

(١) اشتق اسمها من المدينة القديمة المسماة بالهيروغليفية (خمنو)، أو مدينة الثُمانية المقدسة، وكانت عاصمة الإقليم الخامس عشر في مصر العليا القديمة، وأطلق عليها اليونانيون هرموبوليس، كما سماها القبط (شمون)، ومنها جاءت التسمية العربية أشمونين، وهى تقع جنوب محافظة المنيا وبالتحديد على بعد مسافة٨ كم غرب ملوي، وبها العديد من المعالم الأثرية منها جبانة حكام هذا الإقليم في عصر الدولة القديمة، ومتحف في الهواء الطلق يضم تمثالين ضخمين للإله تحوت على شكل قرد بابون متضرعا للشمس، بالإضافة لمنحوتات حجرية أخرى. وترجع إلى عهد الدولة الحديثة، وبقايا معبد للإله تحوت من عهد رمسيس الثاني، وبقايا معبد من فيليب أرهيديس والسوق اليونانية المحاطة بمجموعة من الأعمدة من الجرانيت الأحمر ذات تيجان كورنثية وتوجد لافته حجرية تحدد تاريخ إنشاء السوق سنة ٣٥٠ ق.م. في عهد بطليموس الثاني وزوجته أرسينوي.،ودير البرشا أو أبوحنس حيث توجد كنيسة محفورة بالجيل ترجع للقرن الخامس الميلادي، وهى على الطراز البازيليكى وأعمدتها من الجرانيت، وأيضًا توجد أيقونة لهيرودس الملك وهو يقتل أطفال أورشليم عندما كان يبحث عن السيد المسيح ،وكذلك أيقونة للسيد المسيح تعود للقرن الخامس الميلادي

(٢) قرية ميرة: حاليًا تعرف بقرية مير.

(٣) الكتاب المقدس: إنجيل متى (٢:١٩).

(٤) الناصرة: هي من أكبر مدن الجليل وفيها عدد كبير من الأديرة والكنائس وفيها عدة مواقع تاريخية نذكر منها على سبيل المثال العين التي كانت العذراء تتردد عليها، وكنيسة البشارة في الموضوع الذي انتها فيها البشارة، وحافة الجليل المطل على سهل مرج بن عامر الذي أراد عنده أهل الناصرة أن يطرحوا يسوع إلى أسفل. وقد سمى يسوع الناصري (الغصن) وجاء في أكثر من موضع في العهد القديم: «ويخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله ويحل عليه روح الرب»، الكتاب المقدس (أش ١١،١،٢).

(٥) القمص ميخائيل فهمي، «العائلة المقدسة في مصر»، مجلة الكرازة، العددان ٥،٦، السنة ٢٩، بتاريخ ٢ أمشير ١٧١٧ش/ ٩ فبراير ٢٠٠١م، ص ١٨.

كما يسجل الكتاب المقدس في العهد الجديد ثلاث رحلات تبشيرية قام بها القديس بولس الرسول[1] لنشر رسالة الإنجيل في منطقة آسيا الصغرى وأوروبا. فكانت الرحلة التبشيرية

---

(١) بولس الرسول: اسمه شاول الطرسوسي ويعني بالعبرية «المشتهي- شوقي» أو«المطلوب في الصلاة»، ومعروف عند اليهود في الشتات أن كل ولد يولد يعطى اسمين الأول عبراني مثل شاول، والثاني يتناسب مع لغة أهل البلاد، واسم «بولس» هو روماني «ومعناه «الصغير»، ولد بولس الرسول في طرسوس وهي عاصمة إقليم كيليكية جنوب آسيا الصغري، وهي تقع فيي السهل الشرقي من جبال كيليكية وعلي نهر سيدنوس الذي يخترقها مندفعًا إلى البحر حيث كانت ترسو سفن التجارة من كل بقاع العالم، وكانت المدينة أيام القديس بولس تحت حكم الإمبراطورية الرومانية، ولكنها فازت بالحكم الذاتي كونها مدينة حرة سنة ٦٧ ق.م، ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم ربما عن وثائق كانت تحت يده: إن بولس ولد سنة ٢ ميلادية، وبمولده حصل على الجنسية الرومانية، وذكر بولس أنه ينتمي لسبط بنيامين، وكان من عادة اليهود أن يبدؤوا التعليم للطفل وهو في ابن الخامسة حيث يتمرن على قراءة الأسفار، وفي سن العاشرة يبدأ تعليم كتب شرح الناموس، وفي سن الثالثة عشرة من عمره يتعاطى الناموس، كانت طرسوس في ذلك الوقت مركزًا من مراكز التهذيب العقلي. فقد كثرت فيها معاهد العلم والتربية. وكانت مركزًا للفلسفة الرواقية التي ظهر تأثيرها في كثير من تعبيرات الرسول عن المبادئ المسيحية. وسبق القول أنه لا بد أن يكون المّ في صغره بالتاريخ المقدس من الكتاب وتاريخ اليهود من التقاليد. وكسائر صبيان اليهود تعلم حرفة يلجأ إلى الاكتساب منها إذا احتاج. وكانت الحرفة التي تعلمها بولس صنع الخيام، فلا يدّل ذلك على فقر أو ضعة. ولّما أتم تحصيل ما يمكن تحصيله في طرسوس أرسل إلى أورشليم، عاصمة اليهودية ليتبحر في الناموس. ونعرف أنه تربى عند رجلي غمالائيل وكان هذا من أشهر معلمي الناموس ومفسّريه فأصبح بهذا وبما له من العلم والمعرفة والاستعداد أكثر استعدادًا وكفاءة للتبشير. فقد تأهّل أكثر من سائر الرسل للمداخلة والتبشير بين اليهود واليونانيين والرومانيين والبرابرة. ويظهر أن شاول ذهب إلى أورشليم في صغر سنه، وربما كان عمره ما بين ٢٠ أو ٢٢ عامًا حينما شرع مخلصنا يظهر ذاته للناس. كان أوّل ذكر لبولس في أثناء محاكمة استفانوس حيث قام بعض المسيحين «وخلعوا ثيابهم عند رجليّ شاب يقال إنه شاول، مما يدلّ على أنه صاحب نفوذ وأنه كان راضيًا بقتله أي أنه كان، على الأغلب، ضمن المذكورين الذين ساقوا التهم ضد الشهيد الأول. فيظهر هنا كشخص متعصّب، يكره الفكرة أن ذلك المصلوب هو المسيح ويعتقد أن تابعيه كانوا خطرًا دينيًّا وسياسيًّا. وبضمير مستريح كان يقوم بنصيب وفير في محاولة إرجاع هؤلاء أو قطع دابرهم، قام بهذا الاضطهاد بقسوة شخص يثيره ضمير مضلّل. فلم يكتفِ بمهاجمة أتباع ذلك الطريق في أورشليم بل لاحقهم في خارجها. وفي كل ذلك يظن أنه يؤدي خدمة الله والناموس. ويذكر الكتاب المقدس كيف تحول بولس من شخص يضطهد المسيحين إلى مبشِّر بالمسيح، حيث ذكر=

الأولى استجابة لدعوة الله لإعلان الإنجيل فقد غادر بولس وبرنابا كنيسة أنطاكية في سوريا. واتخذا الوعظ طرقًا لهما للتبشير في المجامع اليهودية. ولكن عندما رفض الكثير من اليهود الإيمان بالمسيح فهم الرسولان دعوة الله للتبشير للأمم [1].

وهنا لا بد أن نسجل أن شاول الطرسوسي مُضطهِد الكنيسة تحول إلى بولس الرسول المُضطهَد بسبب شهادته الجريئة للمسيح. حاول الذين رفضوا رسالة الخلاص بيسوع المسيح أن يوقفوه ويؤذوه. في إحدى المدن رجموه وتركوه، ظانين أنه ميت. ولكن في كل التجارب والجلدات والسجن الذي تعرَّض له استمر يكرز باسم المسيح. وقد تعرض لدسائس كثيرة من اليهود، ووقف أمام ولاة وملوك، مثل فيلكس، وفيستوس، وأغربياس، وقيصر، ومجمع السنهدريم، وتسببت خدمة بولس للأمم بالجدال حول مَن يخلُص وكيف يخلُص. وفيما بين رحلته الأولى والثانية شارك في مؤتمر في أورشليم يناقش طريق الخلاص. وكانت النتيجة التي توصلوا إليها هي أن الأمم يمكن أن يخلصوا دون الخضوع للتقاليد اليهودية[2].

= الكتاب قائلًا: «وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتًا قَائِلًا لَهُ: «شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ فَقَالَ: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟» فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ، فَقَالَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ: «يَا رَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟» فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قُمْ وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيُقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ..»، بعد ظهور السيدة المَسيح له قام ورجع ملتهبًا بنفس الغيرة التي كان يحارب بها يسوع، وإنما الآن شهد بها ليسوع، ولما حاولوا قتله هرب إلى أورشليم حيث رحب به برنابا وقدّمه للرسل، وحيث بشّر بمجاهرة جعلت اليونانيين في أورشليم يحاولون قتله فذهب إلى قيصرية ومنها إلى طرسوس مسقط رأسه، وقضي بها نحو سبع سنوات، وأنه فيها أسس الكنائس المسيحية في كيليكية. وقام بالعديد من الرحلات من أجل التبشير بالمسيحية، وكتب القديس بوليس الرسول ١٤ رسالة تشمل ١٠٠ إصحاح، وظل يعطى ويبشر ياسم يسوع حتى استشهد بقطع رقبته في عام ٦٧ م علي يد الإمبراطور الروماني نيرون (٣٧-٦٧م)، الأب متى المسكين، القديس بولس الرسول،مطبعة دير الأنبا مقار، وادي النطرون ١٩٩٢م، ص ٣٧- ٥٠، شنودة الثالث (البابا)، القديسان بولس وبطرس، الطبعة الأولى، الكلية الإكليريكية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٨-١٠. انظر الشكل رقم ١٠.

(١) الكتاب المقدس: أعمال الرسل (١٣-١٤).

(٢) شنودة الثالث (البابا): المرجع السابق، ص ٢٨-٣١.

أما الرحلة التبشيرية الثانية، فبعد أن بنى كنيسة أنطاكية، طلب من برنابا أن يصحبه لزيارة الكنائس التي تأسست في زيارتهما الأولى[١]، ولكن حدث بينهما اختلاف أدى إلى افتراقهما. حول الله هذا الاختلاف إلى أمر إيجابي لأنه بهذا تشكل فريقين رسوليين. ذهب برنابا إلى قبرص مع يوحنا مرقس، وأخذ بولس سيلا معه إلى آسيا الصغرى. وجه الله بولس وسيلا إلى اليونان بطريقةٍ معجزة، وبهذا وصل الإنجيل إلى أوروبا. في مدينة فيلبي تعرض الفريق الرسولي للضرب والسجن. وفي السجن ترنما فرحًا بمعاناتهما من أجل المسيح. فجأة أحدث الله زلزالًا فتح أبواب السجن وحررهما من قيودهما. قبل السجان المسيح لذهوله مما حدث، ولكن السلطات الحاكمة توسلت إليهما أن يرحلا عن المدينة. عندما سافر بولس إلى أثينا، قام بالوعظ لجمهور فضولي على جبل مارس إله الحرب. أعلن أن الله هو الإله الوحيد الحقيقي الذي يمكن أن يعرفوه ويعبدوه دون أوثان مصنوعة بيد إنسان. مرة أخرى سخر منه البعض والبعض الآخر قبلوا وآمنوا. قام بولس بتعليم أولئك الذين آمنوا وثبتهم في كنائس. في أثناء رحلته التبشيرية الثانية تلمذ بولس أناس من خلفيات مختلفة: شاب يدعى تيموثاوس، وامرأة تاجرة قماش تدعى ليديا، والزوجين أكيلا وبريسكلا[٢].

أما الرحلة التبشيرية الثالثة[٣] قام بولس بالكرازة بكل حماس في آسيا الصغرى. وقد أيد الله خدمته بالمعجزات، حيث يسجل لنا الكتاب المقدس كيف أن القديس بولس كان يعظ عظة أطول من المعتاد في ترواس. كان هناك شاب يجلس على حافة نافذة في دور علوي، ونام في أثناء العظة فسقط من النافذة. ظنوا أنه مات لكن بولس أنعشه مرة أخرى[٤]. كما كان القديس بولس حازمًا من عليم الساحر فامتلأ من الروح القدس، وانتهر ذلك الساحر وقال له: «والآن هوذا يد الرب عليك. فتكون أعمى ولا تبصر الشمس إلى حين». فللحال سقط عليه ضباب وظلمة، فجعل يدور ملتمسًا من يقوده بيده،»[٥] هذا الحادث يدل أيضًا علي السلطان الذي

---

(١) الكتاب المقدس: أعمال الرسل (١٥: ٣٦-١٨: ٢٢).

(٢) موقع أسئلة من الكتاب المقدس.

https://www.gotquestions.org/Arabic

(٣) الكتاب المقدس: أعمال الرسل، (١٨: ٢٣-٢٠: ٣٨). انظر الشكل رقم ١٠.

(٤) الكتاب المقدس: أعمال الرسل، (٢٠: ٧-١٢).

(٥) الكتاب المقدس: أعمال الرسل، (١٣: ٦-١١).

وهبه الله لهذا الرسول القديس[1]، ولكن صانعي الأوثان لم يكونوا راضين عن فقد مصدر رزقهم بسبب هذا الإله الواحد الحقيقي وابنه المتجسد. فأثار أحدهم ويدعى ديمتريوس شغبًا في كل المدينة، ليحث الناس على عبادة إلهتهم ديانا. كانت التجارب دائمًا تتبع بولس. ولكن الاضطهاد والمقاومة ساعدت المؤمنين على نشر رسالة الإنجيل[2].

في نهاية رحلة القديس بولس التبشيرية الثالثة، عرف أنه سرعان ما سيسجن بل ربما يقتل. كانت كلماته الأخيرة التي كتبها لكنيسة أفسس تبين مدى تكريسه للمسيح: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَخَلْتُ آسِيَّا، كَيْفَ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ الزَّمَانِ، أَخْدِمُ الرَّبَّ بِكُلِّ تَوَاضُعٍ وَدُمُوعٍ كَثِيرَةٍ، وَبِتَجَارِبَ أَصَابَتْنِي بِمَكَايِدِ الْيَهُودِ. كَيْفَ لَمْ أُؤَخِّرْ شَيْئًا مِنَ الْفَوَائِدِ إِلاَّ وَأَخْبَرْتُكُمْ وَعَلَّمْتُكُمْ بِهِ جَهْرًا وَفِي كُلِّ بَيْتٍ، شَاهِدًا لِلْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللهِ وَالإِيمَانِ الَّذِي بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَالآنَ هَأَنَا أَذْهَبُ إِلَى أُورُشَلِيمَ مُقَيَّدًا بِالرُّوحِ، لاَ أَعْلَمُ مَاذَا يُصَادِفُنِي هُنَاكَ. غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَشْهَدُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ قَائِلًا: إِنَّ وُثُقًا وَشَدَائِدَ تَنْتَظِرُنِي. وَلكِنَّنِي لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ، وَلاَ نَفْسِي ثَمِينَةٌ عِنْدِي، حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللهِ»[3]. يرى بعض دارسي الكتاب المقدس أنه قام برحلة رابعة أيضًا، ويبدو أن تاريخ الكنيسة الأولى يؤيد هذه الفكرة. وفي نفس الوقت لا يوجد دليل كتابي قاطع على هذه الرحلة الرابعة، حيث إنه لا بد قد قام بها بعد نهاية أحداث سفر الأعمال.

على أية حال، إن الهدف الرئيسي من رحلات بولس التبشيرية كان واحدًا: وهو إعلان نعمة الله لمغفرة الخطايا بالمسيح يسوع. استخدم الله خدمة بولس لتوصيل الإنجيل للأمم وتأسيس الكنيسة. إن رسائله إلى الكنائس، والمتضمنة في العهد الجديد، ما زالت حتى اليوم تساند الكنيسة والعقيدة. ورغم أنه ضحى بكل شيء، إلا أن رحلاته التبشيرية كانت تستحق الثمن الذي دفعه[4].

---

(١) شنودة الثالث (البابا): المرجع السابق، ص ٢٠.

(٢) موقع أسئلة من الكتاب المقدس.

https://www.gotquestions.org/Arabic

(٣) الكتاب المقدس: أعمال الرسل، (٢٠: ١٨-٢٤).

(٤) الكتاب المقدس: رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي (٣: ٧-١١). انظر شكل رقم١٠.

دوافع الرحالة لزيارة وادي النطرون

تتعد الدوافع التي تحمس الإنسان للرحلات، وتختلف هذه الدوافع من شخص إلى آخر ومن مجتمع لمجتمع ومن عصر لعصر، فدوافع الرحالة الأوروبيين تختلف عن دوافع رحالة بلاد الشرق وبلاد أفريقيا عند زياراتهم لوادي النطرون، الا أنها في الأغلب لا تخرج عن أن تكون:

دوافع إلهية:

من هذه الدوافع الإلهية ظهور الملاك ليوسف النجار في حلم قائلًا له: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ، فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلًا وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ، وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي.»[1]، وأيضًا لكي ما يتم الوعد الإلهي بالكتاب المقدس الموحى به من الله حيث ورد عن زيارة السيد المسيح لمصر ولوادي النطرون «هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ، فَتَرْتَجِفُ أَوْثَانُ مِصْرَ مِنْ وَجْهِهِ، وَيَذُوبُ قَلْبُ مِصْرَ دَاخِلَهَا.»[2]. وكذلك«فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِي وَسَطِ أَرْضِ مِصْرَ، وَعَمُودٌ لِلرَّبِّ عِنْدَ تُخْمِهَا،فَيَكُونُ عَلاَمَةً وَشَهَادَةً لِرَبِّ الْجُنُودِ فِي أَرْضِ مِصْرَ. لأَنَّهُمْ يَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ بِسَبَبِ الْمُضَايِقِينَ، فَيُرْسِلُ لَهُمْ مُخَلِّصًا وَمُحَامِيًا وَيُنْقِذُهُمْ،فَيُعْرَفُ الرَّبُّ فِي مِصْرَ، وَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ الرَّبَّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، وَيُقَدِّمُونَ ذَبِيحَةً وَتَقْدِمَةً، وَيَنْذُرُونَ لِلرَّبِّ نَذْرًا وَيُوفُونَ بِهِ»[3]. وهنا نسجل أن أول الرحالة الزائرين لوادي النطرون هي العائلة المقدسة والتي كانت تتكون من الطفل يسوع الذي بارك وقدس أركان الوادي، والسيدة العذراء، ويوسف النجار، لا والقديسة سالومي هي ابنه خالة السيدة العذراء، وكانت تعمل قابلة (داية)، كما لازمت العائلة المقدسة في رحلتها إلى مصر بسبب ملازمتها وخدمتها للسيدة العذراء[4].

---

(١) الكتاب المقدس: إنجيل متي (١٣-١٥). انظر شكل رقم٩.

(٢) الكتاب المقدس: سفر أشعيا (١٩: ١).

(٣) الكتاب المقدس: سفر أشعيا الإصحاح ١٩:(١٩-٢١).

(٤) الموقع السرسمى لدير الأنبا بيشوى.

http://www.avabishoy.com/index.php/2017

دوافع الحج

كان يرتحل للحج المقدس فمعظم الحجاج الأوروبيين كانوا يأتون إلى مدينة القدس[١] بفلسطين لزيارة الأماكن المقدسة التي باركها السيد المسيح في أثناء حياته فيها[٢] وبعد أن شيدت الملكة هيلانة والدة القديس قسطنطين كنيسة القيامة (٣٣٥م) وعثرت على خشبة الصليب المقدس، وتعرفت على قبر السيد المسيح تدفق الحجاج بكثرة لزيارة المدينة[٣].

---

(١) مدينة القدس: اتخذت عدة أسماء- فقد سُميت (يبوس) واليبوسيون هم بناة القدس الأولون وقد يرد اسمها (أورشليم) وتعني بالعبرية (أساس السلام)، أو (ملك السلام)، وقيل: إن إبراهيم الخليل سماها (مدينة السلام)، حيث إن كلمة (أور) بالكلدانية تعني «مدينة» وهي التي هاجر منها إبراهيم عليه السلام نحو سنة ١٩٢١ ق.م. وفي ألواح تل العمارنة الفخارية التي عثر عليها في سنة ١٨٨٧م بمصر، ورد اسمها أوروساليمو(urrsalmu)، وقد كانوا يبغضون أمير هذه المدينة ويكيلون له اللعنات. وقد يرد اسمها محذوفًا منه المقطع الأول- وهو (أور) بمعنى مدينة، فيقال إنها مدينة (شاليم)- أو (ساليم)، ومن ملوكها (ملكيصادق)، وهو أول من اختطها وبناهاكما أطلق عليها أورشليم و(أريئيل)، وأريئيل معناها (موقد الله) تنور الله أو نار الله، ومن ثم سميت أورشليم (مدينة الله)، مدينة الربهاعير في العبرية أي "المدينة" كما سميت "مدينة القدس" ثم "المدينة المقدسة" وكذلك سميت (مدينة العدل)، ثم مدينة الحق. أما في اللغة العربية، فقد أطلق عليها "إيليا" وهو الاسم الذي عرفت به منذ عهد "هادريان"، وبيت المقدس والمقدس و"القدس الشريف" والاسم الغالب عليها حاليًا هو "القدس"، انظر: الكتاب المقدس: سفر يشوع بن نون، الإصحاح ١٥: ٨، ٦٣؛ نفسه، سفر التكوين، الإصحاح ١٤، عدد ١٨؛ نقسه إشعياء(٢٩: ١)؛ نفسه سفر ذكريا الإصحاح الثامن: ٣.، غريفوربوس، الأنبا: القدس المسيحية منذ القدم إلى اليوم، لجنة النشر للثقافة القبطية والأرثوذكسية، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٣. صموئيل، الأنبا: تاريخ أبو المكارم عن الكنائس والأديرة في القرن الثاني عشر بآسيا وأوربا، ج ٣، النعام للطباعة، القاهرة ٢٠٠٠، ص١٣، غريفوريوس، الأنبا، المرجع السابق، ص٣- ٤. ثيؤدورهول باترك: تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، المرجع السابق، ص ٧٩. جريدة الجمهورية، بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٩٢م. جريدة وطني: بتاريخ ١٩ يناير ١٩٧٥م. انظر شكل رقم ١١، ١٢.

(2) Vasiliev, A. A: The Empire of Trebizond in History and literature, Byzantium XV (1970- 1971).pp.316-326.

(٣) حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط٦، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٨م، ص ٢٦.

وعقب انتهاء طقوس الحج في مدينة القديس، كان الحجاج يأتون إلى مصر لزيارة المزارات المسيحية فيها خـاصة دير سانت كاترين[1] في صحـراء شبه جزيرة سيناء وشجـرة مريم في

(١) دير سانت كاترين: يقع دير سانت كاترين بواحة فيران الواقعة بين أكثر الجبال وعورة وجمالًا، وبالتحديد على سفح قمة جبل كاترين القريب من جبل طور سيناء أو جبل موسى، ويرتفع عن سطح البحر بنحو ٥٠١٢ قدمًا، ويعد من أقدم أديرة العالم. وأُطلق على هذا الدير عدة مسميات منها دير السيدة العذراء مريم،نسبة إلى تشييد أول كنيسة في هذا المكان على اسمها، وبعد زيارة الإمبورطورة هيلانة للدير عام ٣٤٢م، وتشييدها كنيسة وقلال وسور لحماية الرهبان، وتخليدًا لتذكار زيارتها أطلق الرهبان عليه دير القديسة «هيلانة»، وهنا يجب أن نؤكد أن الإمبراطور جستنيان الأول (٤٨٢-٥٦٥م) استكمل إنشاء دير كاترين الذي وضعت أساسه الإمبورطورة هيلانة، أو بعبارة آخرى أن الدير تم تأسيسة ما بين (٣٤٢- ٣٥٧م)، وبعد فترة وجيزة اشتهر الدير باسم دير«سانت كاترين»، وهي الشهيدة التي قطع رأسها الإمبراطور الروماني ماكسيموس في مدينة الإسكندرية يوم ٢٥ نوفمبر٣٠٧م؛ لأنها استطاعت أن تقنع حكماءه باعتناق المسيحية، وبعد مضي وقت على نياحتها رأى أحد الرهبان في رؤيا له أن الملائكة حملت رفات القديسة كاترين من محل استشهادها بمدينة الإسكندرية، وهبطت بها فوق الجبل بسيناء حاليًا (جبل كاترين)، وبعد هذا الرؤية، ذهب وفد من الرهبان لقمة الجبل ونقلوا جسدها الطاهر للدير المسمى باسمها، حيث ظهرت السيدة العذراء للرهبان وأشارت إلى تسمية الدير باسم عروس المسيح القديسة كاترين ويعد الدير من بين أكبر الأديرة المصرية مأهول بالرهبان كان يضم أكثر من ٣٠٠ راهب بجانب عديد من الرعايا المسيحيين الذين كانوا يلجأون إلى الدير عند مواجهتهم أى خطر، وفي بداية القرن الحادى عشر وصل عدد الرهبان نحو ٢٠٠ راهب،نتيجة لتشييد العديد من الأديرة في قبرص وكريت وأثينا،ثم تناقص هذا العدد تدريجيًا في سبعينيات القرن العشرين المنصرم، حيث وصل عدد الرهبان نحو اثنتا عشرة راهبًا وفي ثمانينات ذات القرن وصل عددهم نحو ٢٥ راهبًا، وربما اعتقد أن عددهم زاد إلى نحو مائة راهبًا في الوقت الحالى (مطلع القرن الحادي والعشرين). ورهبان وكهنة الدير حاليًا من اليونانيين وليسوا عربًا أو مصريين، شأنهم شأن أساقفة كنيسة الروم الأرثوذكس في مدينة القدس التي يسيطر عليها اليونانيون منذ عهود طويلة. ويرأس رهبان دير سانت كاترين رئيس بدرجة مطران يلقب بمطران طور سينا، ويتم اختياره من بين رهبان الأخوية السينائية، ويرسمه بطريرك القدس للروم الأرثوذكس، وعليه أن يذكر اسم البطريرك، لمزيد من التفصيل انظر: عبده مباشر وإسلام توفيق: سيناء الموقع والتاريخ، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨م، ص ١٥٣، السنكسار، يحوى أخبار الأنبياء والرسل والشهداء والقديسين المستعمل في كنائس الكرازة المرقسية، ج١، ط٢، إعداد اللجنة المجمعية للطقوس، دير السيدة العذراء السريان ٢٠١٣م، ص ٢٥٠-٢٥٢، نعوم بـك شقير:تاريخ سيناء القديم والحديث، وجغرافيتها، =

المطرية [1]، والأديرة القبطية في وادي النطرون لاستكمال حجهم المقدس، ودون بعض هؤلاء الحجاج رحلتهم في مذكراتهم بشيء من التفصيل عن مدينة القدس ووادي النطرون.

وهنا يجب أن نسجل أن معظم الرحالة خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين تأثروا بكتابات هيرودوت Herodote وسترابون Strabon واقتبسوا العديد من الملاحظات وأوروودها في كُتبهم، أما رحالة القرن الثامن عشر الميلادي فلم تقتصر زياراتهم لمصر على المزارات المسيحية، فقط، بل جابوا مدن مصر وتوغلوا في صعيد مصر وصحاريها، ولم تكن زيارتهم قصيرة وسريعة، فقد مكث منهم عدة سنوات فيها فجاءت كتاباتهم عن مصر عامة ووادي النطرون خاصة أعمق بكثير مما سبقوهم[2]. وخلال القرنيين التاسع عشر والعشرين الميلاديين وصل الرحالة الأوروبيون إلى كل نواحي مصر، وكان لسلطات الاحتلال البريطانى دور في ذلك.

دوافع تعليمية ورهبانية

عندما ذاع صيت مصر في مجال الرهبنة بصفة عامة وبرية شيهيت بصفة خاصة، وبعد أن تحول الوادي من منطقة للزهد والتقشف إلى منارة للتعليم ونسخ المخطوطات وكتابة العديد

= مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب، تقديم محمد إبراهيم أبوسليم، دار الجيل، بيروت- لبنان ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٣٢. جوزيف نسيم يوسف: دراسات في المخطوطات العربية بدير القديسة سانت كاترين في سيناء، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ٢٢، الإسكندرية ١٩٦٩، ص١٣٣، دار الوثائق القومية بالقاهرة: محافظ مجلس الوزراء، محفظة ٤/ أ، شركات وجمعيات، ٢٤ مايو ١٩٠٤م؛ نقلًا عن صبري أحمد العدل، وثائق سيناء، مختارات من وثائق القرن التاسع عشر، سلسلة دراسات وثائقية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٧٥٣هـ/ ٢٠١٣م، ص ٣٢٦-٣٢٧. شواهد المؤسسات: اللوحة التذكارية بتشيد بدير سانت كاترين، انظر شكل رقم ١٣؛

German, Wiesbaden, Hans Ernst;Die mamlukischen Sultansurkunden des Sinai-Klosters ,Harrassowitz, 1960 ,P17-18

(1) James Bentley,Secrets of Mount Sinai Hardcover – December 3,1985,p18.

(٢) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ٧-٨. انظر الأشكال رقم ١ ،٢، ٥ ،١٣.

من المؤلفات للمحافظة على التعاليم الأولى للمسيحية، جاء عدد كبير من الرحالة إلى الوادي من أجل التبرك والتعليم على يد شيوخ الرهبان [١] وقد فعل ذلك بورفيري الذي وفد من مدينة غزة بفلسطين عام ٩٧٨ م، وفثينوس الذي كان من العلماء المشهورين في كبادوكيا سنة ٩٣٣ م، وأيضًا أندرونيكوس الأنطاكي الذي تتلمذ على يد القديس دانيال في برية شيهيت،بالإضافة لوجود العديد من بعض الرهبان من رومانيا وأسبانيا وليبيا والمدن الخمس الغربية بشمال أفريقيا وكبادوكية وبيزنطه وأيطاليا ومقدونيا وسورية وفلسطين وغلاطية[٢]، كما جاء إلى البرية من أجل التعليم الراهب الكابوش جيليس دى لوش Gilles De Loches ، وأيضًا الراهب الدومينيكي جوهان ميخائيل فانسليب J. B. Wnsleben [٣].

دوافع استكشافية

والرحالة الأوروبيون إلى وادي النطرون، كان هدفهم الأول البحث عن الاكتشافات الأثرية والمعمارية والأواني. وكان جولين Jullien وهو أول من اكتشف النقوش بالجبس بكنيسة دير السريان، وأيضًا بتلر Putler وهو أول من كتب عن أعمال الجص الموجودة على حوائط كنيسة السيدة العذراء السريان، والعلامة هيوج إيفيلين هوايت Evelyn White الذي قضى عدة أسابيع بأديرة برية شيهيت ولاحظ ووصف الكثير عنها في مجلده الذي كتبه في ثلاثة أجزاء وعنوانه» تاريخ الرهبنة القبطية فبي الصحراء الغربية[٤].

دوافع سياسية وعسكرية

وتتمثل في الوفود والسفارات التي بعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى؛ لتبادل الرأى وتوطيد العلاقات أو لمناقشة بعض الأمور التي تتعلق بين البلدان

---

(١) ماجد عزت إسرائيل: وادي النطرون في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ٢٨٩. انظر ملحق رقم ٣.

(٢) مخطوط رقم ١٧، حياة القديس مقاريوس، الناسخ سرابيون، محفوظ بمكتبة دير القديس مقاريوس (الأنبا مقار) بوادي النطرون المخطوطة.

(٣) سمعان السرياني، الراهب:دير السيدة العذراء السريان، مراجعة وتقديم نيافة الأنبا متاؤسس رئيس دير السريان، مطبعة دير البرموس، ١٩٩٠م، ص ٩٠-٩٤.

(٤) نفسه.

أو التمهيد لعمل عسكري، أو دراسة البيئة الجغرافية لإجراء بعض التجارب أو المناورات العسكرية أو لاستكشاف ووصف طبوغرافية وادي النطرون وقد فعل ذلك عام ١٧٩٨م الجنرال الفرنسي أندريوسي Andrcossy وقت الوجود الفرنسي بمصر[١].

دوافع اقتصادية

شهد وادي النطرون نشاطًا اقتصاديًّا تمثل في استخراج النطرون من البحيرات المنتشرة بين أرجائه، وجذب هذا النشاط أنظار العالم إليه، وخاصة بعد أن تعاظمت أهمية النطرون،لا سيما بعد نجاح تجارب استخدامه في مجال صناعات عديدة وزادت تجارته، فوفد إلى برية شيهيت العديد من الرحالة من أجل تجارة النطرون، وزيارة أديرة الوادي[٢]. وفعل ذلك في سنة ١٦٤٠م دولا بولاي لوجوز، وكتب في مذكراته القيمة الاقتصادية لمادة النطرون التي كانت تصدر آنذاك إلى مصانع أوروبا[٣].

دوافع اقتناء المخطوطات

احتلت مكتبات أديرة وادي النطرون شهرة عالمية بكثرة مخطوطاتها، ولذلك وفد كثير من الرحالة من أجل الحصول على بعض المخطوطات كهدية أو الحصول عليها عن طريق الشراء، وفعل ذلك يوسف السمعانى المارونى[٤]، وبيرسك الذي حاول شراء كتب المزامير من دير الأنبا مقار[٥]، ولا ننكر أن بعض الرحالة وفدوا إلى الوادي من أجل سرقة المخطوطات والأواني الأثرية[٦].

---

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: العرب في ريف مصر وصحاريها، وصف مصر، ج٢، المرجع السابق، ص ٤١-٦٠.

(٢) ماجد عزت إسرائيل: وادي النطرون في القرن التاسع عشر، المرجع السايق، ص ٢٠٠.

(٣) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص١٥٧-١٥٨.

(٤) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص٩٠-٩٤.

(٥) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٦) لمزيد من التفصيل انظر ملحق رقم ٢ ،٣، ٤، ٥.

دوافع صحية

وجاء إلى بحيرات وادي النطرون العديد من الرحالة من أجل العلاج أو الاستشفاء من أمراض العظام والأمراض الجلدية، وآخرون سافروا إلى برية شيهيت كنزهة وفسحة روحية، للتعرف على البيئة الصحراوية وعلى عادات وتقاليد البدو الرحل وأشباه الرحل والمستقرين، وسجلوا لنا كل ذلك في مذكراتهم، التي تعد حاليًا من أهم المصادر التاريخية لدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية بوادي النطرون[1].

الرحالة الزائرون لوادي النطرون من القرن الرابع الميلادي حتى القرن العشرين

القديس والمؤرخ جيروم ومعه القديسة الإيطالية باولا

(جيروم JEROME)(٣٤٢-٤٢٠م) واسمه إيرونيموس يوبابيوس Hieronymus Eusebius ، وُلد في عام ٣٤٢م في مدينة صغيرة تُدعى ستريدون Stridonia بالقرب من أكويلا Aquileia[2]، وكان له أخ أصغر يُدعى بولينان Paulinian وأخت صغرى، وسلك كلاهما مسلك جيروم في اختيار الحياة الرهبانية دربًا لحياتهما، مما يدل على أن والده يوسابيوس كان مسيحيًّا رومانيًّا تقيًّا. وما بين عامي (٣٦٠- ٣٦٧م)، درس النحو والبلاغة في روما، وتتلمذ على يد دوناتوس Donatus، وفي فترة شبابه قام بنسخ العديد من الأعمال الأدبية الشهيرة، وتعمَّد في روما، ثم تركها وذهب إلى مدينة تريف، وهناك جذبه النموذج الشرقي للرهبانية وللحياة النسكية التقوية، وكان يقضي وقت فراغه في أعمال النسخ فنسخ لنا أعمال القديس هيلاري أسقف بواتييه، وبعد ذلك عاد إلى موطنه نحو عام ٣٧٠ م، مع صديقه بونوسوس Bonosus، وعاش بضع سنوات في شركة رهبانية نسكية مع روفينوس وكروماتيوس

---

(١) ماجد عزت إسرائيل: بدو وادي النطرون والسلطة السياسية في القرن التاسع عشر، في كتاب: البدو في العالم العربي عبر العصور، تحرير عبادة كحيلة، تصدير عادل غنيم، ج١، دار المعارف، القاهرة ٢٠١٥م، ص ١٢١-١٤٩. انظر الأشكال رقم ١، ٢، ٣.

(٢) تادرس يعقوب الملطي (القمص) ويوسف يوسف حليم (القس): قاموس آباء الكنيسة وقديسسها: مع بعض شخصيات كنسية، كنيسة الشهيد مارجرجس بإسبورتنج، الإسكندرية ٢٠٠١م.

Chromatius وهليودورس Heliodrus. وفي عام ٣٧٤ م. انطلق إلى فلسطين، لكنه تأخر في الطريق قليلًا في أنطاكية ليستمع إلى مواعظ أوليناريوس أسقف لادوكية، وهناك في حلم رأى نفسه مُدانًا أمام كرسي المسيح؛ لأنه استمر فيلسوفًا ينتمي لسيسرو Cicero الفيلسوف أكثر منه مسيحيًّا، وقد روى هذه الرؤيا في رسالة إلى استوكيوم Eustochium لكي يشجعها على دراسة الكتاب المقدس. وبعد هذه الرؤية مضى وتوحد في صحراء خالكيس بسوريا وظل بها مدة تتراوح ما بين أربعة إلى خمسة أعوام[١].

بعدها عاد إلى مدينة أنطاكية حيث رسمه بولينوس كاهنًا، وفي سنة ٤٨٠ م. ذهب إلى القسطنطينية حيث تتلمذ على يدي القديس أغريغوريوس النزنيزى. ومن القسطنطينية رحل إلى روما حيث عينه البابا داماسوس Damasus سكرتيرًا له، ولم يمنعه هذا العمل من خدمته للأرامل مارسيلا Marcella وبولا Paula والدة استوكيوم، واضطرته متطلبات دراساته الكتابية إلى تحسين لغته العبرية بمساعدة أحد الرابيين (معلمي اليهود)[٢].

على أية حال، يعد جيروم من مشاهير دارسي الكتاب المقدس وأول من ترجمه إلى اللاتينية (الفولجاتا)، وقد قدم إلى مصر عام (٣٨٥م) واصطحب معه الأرملة باولا (تنيحت سنة ٤٠٤م) إحدى ثريات إيطاليا التي اشتاقت إلى حياة القداسة والبعد عن العالم، زارت أولًا قبرص، وتحدثت إلى القديس إبيفانيوس أسقفها، وذهبت إلى أنطاكية حيث تقابلت مع جيروم وقدما معًا قاصدين الإسكندرية، بقيا في الإسكندرية ٣٠ يومًا. وتتلمذ جيروم حسب قوله على يد ديديموس اللاهوتى الإسكندري الضرير الذي كان يلقي محاضراته في المدرسة اللاهوتية الشهيرة. ومن الإسكندرية انحدرا معًا إلى نتريا سنة ٣٨٥م، وبقيا هناك مدة طويلة. وأهم ملاحظات جيروم في هذه الزيارة حيث ذكر قائلًا: « وقد قمت بجولة استطلاع شاملة على كل أديرة نتريا ولاحظت وجود ثعابين تجري بين قلالي القديسين..، وفي أثناء الزيارة كانت باولا

---

(١) الآباء المؤرخون: مصادر التاريخ الكنسى: ترجمة أنطون فهمى جورج،مطبعة الأنبا رويس، القاهرة ١٩٩٣م، ص٣٠-٣٣.

(٢) نفسه.

شديدة التأثر والفرح برؤية القديسين، وأخذتها غيرة وحماس لحياتهم... أن نطرون نتريا الطاهر قادر أن يغسل ويطهر الكثيرين من خطاياهم..... لقد رأت الأسقف إسيذوروس المعترف؛ وكثيرون من الآباء الكهنة القديسين استقبلوها بفرح، فكانت تمجد الله وتشعر أنها غير مستحقة لهذه الكرامة، لقد رأت المقارين وأرسيزيوس(أكثر من واحد) وسيرابيون (أكثر من واحد) أعمدة المسيح، وزارت جميع قلاليهم وسجدت تحت أقدامهم وكانت تشعر أنها رأت المسيح في كل واحد منهم. وعندما أعطت أموالها لهم شعرت أنها أعطتها لله.. وكان حماسها لهم عجيبًا، وكان احتمالها (لأتعاب التنقل بين آلاف الرهبان والمبيت في البرية) لا يصدق بامرأة، لقد نسيت ضعف أنوثتها وطلبت أن تعيش بينهم، وقد رحبوا بها فعلًا وأعطوها كل مطالبها، ولكن غلبها في الآخر حنينها لأورشليم، فغادرت نتريا متجهة نحو الأراضي المقدسة. ويلاحظ هنا أن جيروم وباولا زارا الأسقيط (برية شيهيت) وتقابلا مع القديس مقاريوس الكبير[1].

وبعد زياراته لبرية شيهيت عاد جيروم إلى أورشليم عام ٣٨٦ م، واستقر في بيت لحم حيث أسس ديرًا للرهبان وآخر للعذارى، وكرس حياته للدراسة والبحث والترجمة. وقد واجه العديد من البدع والهرطقات مثل الآريوسية والبيلاجية التي اشترك مع أغسطينوس في مواجهة تعاليمها، كما كان له موقفه المقاوم بشدة للتعاليم الأوريجانية والذي اختلف بسببه مع صديقه روفينوس ودخل في العديد من الجدالات، وفي عام ٤١٤ م. وقف ضد بيلاجيوس المبتدع في أورشليم مدافعًا عن العقيدة الصحيحة، وفي عام ٤١٦ م. انتقم البيلاجيون منه وأحرقوا ديره، وبعد أربعة أعوام تنيح جيروم أي في عام (٤٢٠ م). ودُفن في أورشليم في بيت لحم[2].

وتتمثل إسهامة جيروم التاريخية في كتابه «مشاهير الرجال De Visis Illustribus» وهو تأريخ لسير وأعمال الكُتاب الكنسيين، ويقول في مقدمة هذا العمل «سأكتب أولًا عن هؤلاء الرجال المشاهير ورسائلهم إلى الأمم وعن كل الذين لهم مؤلفات وتأملات عن الإنجيل المقدس،

---

(١) متى المسكين(الأب): الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، الطبعة الثانية، مطبعة دير الأنبا مقار، وادي النطرون ١٩٨٤م، ص ١٨٦-١٨٧.

(٢) الآباء المؤرخون: مصادر التاريخ الكنسي: المرجع السابق، ص ٣٤-٣٦.

بداية من آلام السيد المسيح وحتى السنة الرابعة عشر من عهد الإمبراطور ثيودوسيوس». وقد كتب هذا العمل في بيت لحم عام ٣٩٢ م. استجابة لطلب صديقه دكستر Dexter، وكان يهدف بذلك إلى الرد على الوثنيين والهراطقة الذين اتهموا المسيحيين بالجهل وبأنه ليس بينهم علماء ولا دارسون. ولأن جيروم قد اعتمد على «التاريخ الكنسي» ليوسابيوس القيصرى، لذلك وقع في نفس أخطائه لكنه على أيه حال قدم لنا في عمله هذا مرجعًا مهمًّا وثمينًا في دراسة علم الباترولوجي[١].

كما يذكر التاريخ لجيروم ترجمته لكتاب «التاريخ Chronicle» ليوسابيوس القيصرى، وأيضًا ترجماته للأعمال الجدلية ذات القيمة التاريخية الفائقة، كما وجدنا بين رسائل جيروم وثائق مهمة خاصة بالقديس ثيوفيلس السكندري، ومضابط مجمع مكاني عقُد في أورشليم، ونصوص شرقية أخرى تمت ترجمتها ونُشرت في الغرب بهدف جدلي، ونذكر منها على سبيل المثال، الرسالة رقم ٥١ من إبيفانيوس إلى يوحنا أسقف أورشليم، والرسالة رقم ٨٧ و٨٩ من ثيوفيلس إلى جيروم، والرسالة رقم ٩٠ من ثيوفيلس إلى أبيفانيوس أسقف سلاميس، والرسالة رقم ٩١ من إبيفانيروس إلى جيروم، الرسالة رقم ٩٢ و٩٣ وهما رسالتان مجمعيتان أرسلهما ثيوفيلس، ورد ديونيسيوس أسقف Lydda عليها، والرسالة رقم ٩٦ و٩٨ وهما رسالتان فصحيتان كتبهما ثيوفيلس، والرسالة رقم ١١٣ من ثيوفيلس إلى جيروم. كما ترجم مجموعة من الوثائق القبطية الباخومية إلى اللاتينية، وكذلك كتب لنا سير الآب بولا أول السواح، والقديس هيلاريون الكبير، والقديس ملخوس Malchus، وبالإضافة إلى هذه الأعمال العديدة ذات القيمة التاريخية الثمينة، كان لجيروم أعماله الأخرى، فترجم الأناجيل والأسفار القانونية الثانية، ونسخة منقحة من الهكسابلا (السداسيات)، ونسخة منقحة من المزامير، وترجم عظات أوريجين وديديموس الضرير، ووضع الكثير من التفاسير الكتابية والرسائل[٢].

---

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

إيفاجريوس البنطي

غريس البنطي أو الأنبا إيفاجريوس أومارأوغريس أو إيڤاجريوس، وُلد في مدينة إيبورا Ibora من أعمال بنطس سنة ٣٤٥ م، ابنًا لخوري أبسكوبوس. رسمه القديس باسيليوس أسقف قيصرية قارنًا، والقديس إغريغوريوس النزينزي شماسًا. وفي القسطنطينية سلمه القديس إغريغوريوس للبطريرك نكتاريوس، بوصفه شماسًا بارعًا في دحض كل الهرطقات، فصار واعظًا شهيرًا عُرف بحمية الشباب في دحض البدع[١].

إيفاجريوس، هذا الراهب الأجنبي الزائر، كان يمثل بالنسبة لكل براري نتريا والقلالي وشيهيت وكل مصر عنصرًا دخيلًا خطيرًا بالنسبة للحياة الرهبانية القبطية ذات الطابع الروحي القلي البسيط. فقد كان مولعًا بالجدل والمعرفة القائمة على التأملات والتصورات وحدها،يعشق أوريجانس ويطبق أفكاره على المبادئ الروحانية ليحولها إلى علوم ومعارف وتدريبات ويقول عنه المؤرخ الأمريكي إفلين وايت: « أدخل عنصر العقلانية وصهرها بالحياة الرهبانية في مصر،فدخلت الرهبنة في مرحلة عقلية خطيرة انتهت بمحنة قاسية أودت بالحياة الرهبانية في نتريا كليًا. وبالرغم من بقاء بعض الآباء مثل القديس أور، وبيثور وبامو كعميد للرهبنة الوطنية من القرن الرابع (٣٧٥-٤٠٠م). قامت جماعة من الرهبان معظمهم من الأجانب أو من اليونانيين المتمصرين أمثال أمونيوس الطويل وديوسقوروس ويوثيميوس وباسبيوس وألبانيوس وهيراكس الصغير وهيراكس الكبير وكرنيوس وبالليديوس وعلى رأسهم جميعًا يأتي إيفاجريوس، هذه الجماعة أدخلت خلسة إلى الصحراء عنصراء غريبًا يقوم على الجرأة العقلية التأملية المبنية على الفلسفة اليونانية بدت غريبة وغير منسجمة مع الرهبان الأقباط الوطنيين[٢].

على أية حال، إيفاجريوس هذا(٣٤٥-٣٩٩م) حضر إلى مصر هاربًا من الخطيئة سنة ٣٨٣م. بعد مؤامرة خطيرة مع امرأة متزوجة، وكانت توبته على يدي القديسة ميلانيا.. وظل يدرس

---

(١) تادرس يعقوب الملطي (القمص) ويوسف يوسف حليم (القس): المرجع السابق. حرف أ.

(٢) متى المسكين (الأب): الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ١٨٥.

النظام الرهباني في نتريا سنتين، بعدها انحدر إلى القلالي وتتلمذ على يد مقاريوس الإسكندرني فبدأ يقلد تقشفاته وبرع على مستوى البطولات، وضرب الأرقام القياسية في الصوم والسهر والصمت... الخ. وهو الذي بدأ بدعة وزن الخبز وقياس الماء ومعايرة الزيت في طعامه، والامتناع عن الاستحمام، وتحديد كميات وأرقام الصلوات بالعدد، وتعذيب الجسد بالعري في الشتاء، والعيشة في العراء حتى انهدمت صحته، وبدأ صحته تدهور، وبدأ يداهمه الفشل النسكي، وأجبره المرض على كسر كل قوانينه مدة سنتين، ثم عاجلته المنية في سنة ٣٩٩ أو سنة ٤٠٠م. بعد ١٧ عامًا قضى منها سنتين في نتريا، و١٥ سنة في القلالي. ثم يقول عنه إيفلين وايت أيضًا: « إنه كان الرأس المفكر للجماعة الأوريجانية (الإخوة الطوال)... وكانت تعاليمه كلها مشكوكًا فيها بل أكثر من المشكوك فيها حتى أن القديس هيرو يقول: إن كل الرهبان الذين تبعوا مبادئ إيفاجريوس وتعاليمه ضلوا. وقد حاول بالليديوس أن يغطي على حقيقته وسمعته، ولكن ظلت سمعة تعاليم إيفاجريوس حتى القرن السادس تذكر في القلالي أنها هرطقة، وظل الرهبان يعتقدون أن قلايته كان يسكنها الشيطان الذي كان يطغيه. ويروي لنا السائح يوحنا موسخوس سنة ٥٨٠م. قصة الراهب الذي طلب من قس القلالي أن يسمح له بالتوحد في قلاية أوغريس؛ لأنها كانت مبنية جيدًا ومتسعة، وكانت مهجورة منذ زمن طويل جدًّا لم يسكنها أحد.فرفض القس قائلًا إن بها شيطانًا. ولكن ألح الراهب في طلبه حتى صرح له، وفي يوم السبت لاحظ الإخوة أنه لم يحضر إلى الكنيسة، فأرسل القس يستخبر عنه فوجدوه مشنوقًا في قلاية أوغريس[١].

المؤرخ تيرانيوس روفينوس ومعه القديسة ميلانيا الأسبانية

وُلد تيرانوس روفينوس Rufinus Tyrannius نحو عام ٣٤٥ م. في مدينة كونكورديا Concordia بالقرب من أكويلا Aquileia من أسرة مسيحية، وتتضح لنا معرفته المبكرة بجيروم من أنه عندما ذهب جيروم مع بونوسوس Bonosus إلى بلاد الغال[٢] طلب روفينوس منه أن

(١) نفسه.

(٢) بلاد الغال: هي دولة فرنسا حاليًا وعاصمتها باريس.

يرسل له نسخة من أعمال القديس هيلاري أسقف بواتييه عن المزامير وعن المجامع. ونال روفينوس صبغة المعمودية المقدسة وهو في عامه الثامن والعشرين، وكان يحيا في ذلك الوقت في أكويلا، وكان عضوًا في شركة رهبانية تضم بين أعضائها جيروم. وعندما تفرقت هذه الجماعة النسكية، صاحب روفينوس السيدة الرومانية الثرية ميلانيا في رحلتها للشرق[1].

على أية حال، رحل تيرانيوس روفينوس Tyrannius Rufinus كاهن مدينة أكويلا بشمال إيطاليا، إلى الشرق سنة ٣٧١م، وزار نتريا والقلالي وشيهيت، وكان لزيارته أثر بعيد المدى على مسيحي الغرب؛ لأنه هو أول من ترجم كل التراث القبطي والشرقي من اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية. أما ميلانا فهي امرأة أسبانية حفيدة مرسللينوس الذي كان بدرجة قنصل، ترملت بعد زواج قصير، رحلت إلى روما وتقابلت مع روفينوس واتجها معًا إلى مصر. قابلها باللاديوس في نتريا وتحدث إليها ونقل إلينا أخبارها بالتدقيق حيث ذكر قائلًا: «باعت كل ما عندها وحولته إلى نقود، ولما وصلت الإسكندرية سعت في طلب نتريا وقابلت الآباء الذين كانوا بصحبة بامو وأرسيزيوس وسرابيون وبافنوتيوس الشيهيتي وإسيذوروس المعترف(أسقف هرموبوليس-دمنهور) وديسقوروس، ومكثت هناك ستة أشهر(٣٧٣-٣٧٤م) تدور حول المنشوبيات في كل ناحية وتسأل جميع قديسيها[2].

أما هي فقصت خبر وصولها كالآتي: « حينما وصلت إلى الإسكندرية في رحلتي من روما، سمعت بسمو سيرة الأب بامو من المغبوط إسيذوروس الذي أخبرني عنه، وقادني إلى نتريا وأدخلني إليه، وكنت قد أحضرت معي ثلثمائة جنية من الفضة وتضرعت إليه أن يقبلها، متفضلًا بذلك أن يقاسمني ثروتي. ولكنه وهو جالس موضوعه يخيط في الضفيرة الخوص باركني وقال لي: «الله يعوضك»، وقال لخادمه أوريجانس: «خذ هذا المال ووزعه على رهبان ليبيا والجزائر لأن أديرتهم أكثر حاجة إليه،... ولا تعطي شيئًا لأديرة مصر لأن خيرات البلاد كثيرة». ووقفت أنا منتظره أن يمدني أو يكرمني بسبب الهدية، فلما لم يكلمني على الإطلاق

(١) الآباء المؤرخون: مصادر التاريخ الكنسي: المرجع السابق، ص ٣٨.

(٢) متى المسكين (الأب): الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص١٨٤-١٨٥.

بادرته بالقول: «ليكن في علمك يا أبي أن قيمة هذا المال ثلثماية جنية!!» أما هو فلم يتحرك وردَّ علي قائلًا: «إن الذي أحضرت إليه هذا المال لايحتاج أن يعرف عددًا أو ميزانًا، فالذي يزن الجبال يعرف بالأكثر كمية المال الذي أحضرته. فلو كنت أحضرت المال لي كان يحسب كلامك هذا حسنًا، ولكن حيث إنك أعطيته لله الذي لم يحتقر فلسي الأرملة، فالأفضل أن تسكتي». هكذا كان الحال عند دخولي للبرية. ولم يمضِ وقت طويل حتى رقد رجل الله وذهب إلى راحته وهو ابن سبعين سنة بدون أي مرض بل فارق الحياة وهو جالس يخيط زنبيله. وقد أرسل في طلبي عندما أحسن بنهايته فوصلت في اللحظة التي كان يلفظ فيها نفسه الأخير،فقال لي: «خذي هذه السلة[1] من صنع يدي حتى تذكريني لأني لا أمللك شيئًا آخر أعطيه»[2].

أما ميلانيا فقامت في الحال وكفنته بيديها في لفائف كتان وقامت مع تلاميذه بدفنه ورحلت ومعها السلة الذي لازمها حتى مات. ومن نتريا إلى برية شيهيت: ويقال إن ميلانيا انحدرت إلى شيهيت وهي التي قامت ببناء كنيسة لإسيذوروس القس[3]، وجيروم في خطابه له أرسله لروفينوس يقول إن روفينوس زار القديس مقاريوس الكبير في قلايته سنة ٣٧٣م، أما روفينوس فذكر قائلًا عن نفسه: «إنه ظل مدة وهو تحت قيادة وتدبير أساتذه الصحراء الكبار،مقاريوس تلميذ أنطونيوس ومقاريوس الآخر(الإسكندراني) وإسيذوروس وبامو وكل أحباء الله الذين علموني كل ما استلموه من الله»[4].

بلاديوس Palladius

وُلد القديس بلاديوس في غلاطية عام ٣٦٣م، وتثقف ثقافة عالية، ولا نعرف عن عائلته الكثير، وكل ما نعرفه أن والده كان عائشًا حتى سنة ٣٩٤ م.، وأن أخته وأخوه كرسا حياتهما، وعندما بلغ القديس بلاديوس من العمر نحو ٢٣ عامًا دخل الحياة الديرية في جبل الزيتون

---

(١) كنيسة لإسيذوروس القس: حاليًا إحدي كنائس دير البراموس.

(٢)متى المسكين (الأب): الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص١٨٤-١٨٥.

(٣) السلة: المقطف.

(٤) متى المسكين (الأب): الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص١٨٤-١٨٥.

بأورشليم ليتتلمذ على يديْ إينوسنت، كما أقام فترة صغيرة مع البيديوس بالقرب من أريحا. وفي نحو سنة ٣٨٨ م. أراد أن يلتقي بمتوحدي مصر ويتعرف عليهم ويتتلمذ على أيديهم، فذهب إلى الإسكندرية وبقي فيها قرابة ثلاث سنوات. التقى بالقديس إيسيذورس الذي كان يدير دار الضيافة بالبطريركية، وهذا سلمه للقديس دورثيؤس الطيبي أو الصعيدي الذي كان يسكن في مغارة تبعد حوالي خمسة أميال من الإسكندرية، وإذ كانت معيشة هذا المتوحد تفوق احتمال القديس بلاديوس فقد تركه وانطلق إلى نتريا ومنها إلى منطقة القلالي ليقيم فيها تسع سنوات حتى إذ اعتلت صحته اضطر إلى العودة إلى الإسكندرية للعلاج[١].

على أية حال، هو بلاديوس صاحب التاريخ المشهور المعروف باسم «التاريخ اللوزياكي» History Lausiac [٢]، والحقيقة أن الرهبنة القبطية وتاريخ الأديرة في نتريا والقلالي وشيهيت مدينة لهذا الإنسان المبارك. ولكن يلزمنا من البدء أن ننبه ذهن القارئ إلى أن بلاديوس بالرغم من انه رافق كثيرًا مقاريوس الإسكندراني، إلا أنه كان أكثر ولاء وتاثرًا لإيفاجرويوس منه لأي آخر، هو يعتبر كما يقول إيفلن وايت: « أحد زمرة الأجانب الذين عاشوا بين آباء مصر كعقلانيين، لذلك فإنه بقدر ما كان له الفضل كل الفضل في حفظ تراث وأفكار آبائنا العظام ومبادئهم وأسمائهم مخلدة في صفحات التاريخ، فهو في نفس الوقت أحد الأجانب الذين أساؤوا لمنهج الروحانية الرهبانية في نتريا ومعولًا من معاول الهدم التي أنهت على التراث القبطي الأبوي هناك واوقفت نموه قبل نهاية القرن الرابع الميلادي،لأن تأثير منهج العقلية الأوريجانية الذي عاشوا عليه وروجوا له ووضعوا مبادئه وأفكاره وتداريبه أثر على روحانية الآباء البسيطة النيرة وحياتهم الطبيعية التي تقوم على مبدأ التسليم لأب الاعتراف واستلهام

(١) تادرس يعقوب الملطي (القمص) ويوسف يوسف حليم (القس): المرجع السابق. حرف (ب).

(٢) التاريخ اللوزياكي: وقد سُمي هكذا نسبة إلى لوسياس Lausus رئيس حجاب بلاط الإمبراطور ثيؤدوسيوس الثاني، إذ أهداه إليه، كتبه نحو عام ٤١٩/ ٤٢٠ م، يصف فيه الحركة الرهبانية في مصر وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى في القرن الرابع، ويعتبر من أهم مصادر تاريخ الرهبنة الأولى بعد كتاب "حياة أنطونيوس" بقلم البابا أثناسيوس الرسولي. انظر: تادرس يعقوب الملطي (القمص) ويوسف يوسف حليم (القس): المرجع السابق. حرف (ب).

الجهاد الروحي يومًا بيوم بلا مناهج ولا تداريب مستطيلة. فكان من نتيجة هذه المبادئ الأوريجانية أن دخلت نتريا في صراعات مريرة بسبب هذه الأفكار الفلسفية، وتشيع لها بعض الآباء، وتدخلت السلطة الكنسية، وكان تدخلها عنيفًا أزعج الحياة الرهبانية بجملتها وبدَّد شمل الوحدة والمتوحدين[1].

وهنا يجب علينا أن نسجل للتاريخ، أنه منذ دخول بلاديوس نتريا في عام ٣٩٠م التصق بجماعة العقلانيين الأوريجانية، هذا الحزب الذي يتكون معظم شخصياته من أجانب ومتمصرين كلهم عشاق لأفكار أوريجانس العقلية التأملية. ويذكر بالليديوس أن من باكورة معلميه: أرسيزيوس الكبير، بتيوباسطس، ماسيون، كرونيوس،سيرابيون. وبعد سنة واحدة في نتريا انحدر إلى القلالي سنة ٣٩١م. ورافق مقاريوس الإسكندراني الذي تنيح في يناير سنة ٣٩٤م. فانضم لإيفاجريوس وعاش تدبير إيفاجريوس مقيمًا في منطقة القلالي ومتنقلًا من نتريا إلى شيهيت تسع سنوات كاملة من (٣٩١-٣٩٩م) وكان شديد الشغف بأوريجنس وأمونيوس الطويل وأخيه ديسقوروس وبقية العقلانيين. وكان معتادًا أن يزور شيهيت مع ألبانيوس وهيرو الإسكندراني، ونزل إلى ليكوبوليس (أسيوط) وزار حبيسها المشهور يوحنا الأسيوطي الذي تنبأ له أنه سيصير أسقفًا. وقد حضر بلاديوس نياحة (موت) معلمه إيفاجريوس سنة ٣٩٩م. وقد أصابه مرض في معدته وطحاله، فنصحه الأطباء بالذهاب إلى الإسكندرية، لكن لم يسعفه الطب فرحل إلى فلسطين ومنها إلى بيثينية حيث رسم أسقفًا على هليوبولس سنة ٤٠٠م كما تنبأ له القديس يوحنا الأسيوطي، وظل مرافقًا ليوحنا ذهبي الفم خمس سنوات. وبسبب ذلك نفي سنة ٤٠٦م إلى أسوان، وبقي في منفاه في صعيد مصر من ٤٠٦-٤١٢م متنقلًا بين أسوان وأتينوي (الشيخ عبادي) عاد بعدها إلى غلاطية كأسقف على Apsuna. وفي سنة ٤١٩-٤٢٠ وضع كتاب تاريخ الرهبنة الذي سمي باسم الشخص المهدى إليه «لوزاس»[2]، وقد تنيح قبيل انعقاد المجمع المسكوني بأفسس سنة ٤٣١ م.[3].

---

(١) متى المسكين(الأب): الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ١٨٧-١٨٩.

(٢) نفسه.

(٣) تادرس يعقوب الملطي (القمص) ويوسف يوسف حليم (القس): المرجع السابق. حرف (ب).

هوستوريا موناخورم

في مطلع عام ٣٩٤م، قام سبعة رهبان من فلسطين بزيارة براري مصر ومنها برية شيهت، متأثرين بما قرؤوه وسمعوه عن الأباء الرهبان بالبرية، ولا سيما عقب نشر البابا أثناسيوس الأول الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م) البطريرك رقم(٢٠)، حياة القديس»أنطونيوس المصري» أب الرهبنة، وهؤلاء الرهبان مدفوعين بشوق حار للتعرف عمليًّا على أنماط حياتهم في الواقع الملموس، والتجول الفيزيقي في «فردوس» سيرهم، ليستخلصوا رحيق الحياة الرهبانية، ويكتننزوا لأنفسهم شهدها، وبعد ذلك عادوا إلى بلادهم لأخوانهم الرهبان الذين يعيشون في جبل الزيتون بأورشليم في فلسطين، وكان عليهم أن يدونوا ما قد استخلصوه من دروس وعبر وقوانين عن الرهبنة المصرية. وقام أحد الرحالة السبعة بتدوين وصف لهذه الرحلة مبتدأ بها من أسيوط بأعالي النيل ومارًّا بنتريا والقلالى ثم الإسكندرية فديولكوس على الساحل الشمالي في وسط الدلتا. وقد عرف هذا الوصف اصطلاحيًّا بـ «هستوريا موناخورم» Historia Monachorum in Aegypto أي «التاريخ الرهباني» لمصر[١].

واختلف العلماء والدراسون في تحديد شخصية كاتب هذا العمل المهم، فمنهم من رأى أنه روفينيوس Rufinus، ومنهم من قال إنه البابا تيموثاوس الأول(٣٧٩-٣٨٥م) البطريرك رقم (٢٢)، كما قال سقراط في تاريخه، وفريق ثالث قال إن سقراط أخطأ بينما المقصود تيموثاوس الشماس، وآخرون يعتقدون أنه الراهب بترونيوس الذي صار أسقفًا على بولونيا. ويستعرض هذا الكتاب أحاديث عن آباء صعيد مصر وآباء نتريا والقلالي وشيهيت، مع وصف لأقاليم اكسيرنيكوس (البهنسا) ونتريا ومنف والرهبان المقيمين بها، ومجموع الآباء المذكورين في هذا العمل هم ٢٥ أبًا؛ ولهذا الكتاب مكانة هامة متميزة، وكان له أكبر الأثر في التعريف برهبان مصر في الشرق والغرب، فلعب دورًا مثيلًا لذلك الذي قام به كتاب التاريخ اللوزياكي لبالاديوس، والذي غالبًا ما يُكتب معه في المخطوطات. ونص هذا العمل موجود في نسختين يونانية ولاتينية، وكان يُظن قبلًا أن النسخة اللاتينية والتي وضعها روفينوس هي الأصل وأن النسخة اليونانية هي ترجمة لها (ولهذا كان يُعتقد أن روفينوس هو كاتب هذا العمل)، لكن ثبت حديثًا أن النسخة اليونانية هي الأصل وأن النسخة اللاتينية ليست إلا ترجمة قام بها روفينوس[٢].

---

(١) هستوريا موناخورم: التاريخ الرهباني لمصر، الطبعة الأولى، ترجمة الراهب بولا البراموسي، الناشر أبناء الأنبا موسى الأسود، ١٩٨٠، ص ٦.

(٢) الآباء المؤرخون: مصادر التاريخ الكنسي: المرجع السابق، ص ٤٢-٤٣.

جان كاسيان(٣٦٠-٤٣٥م) John Cassian

وُلد جان كاسيان نحو عام ٣٦٠ م، ونال تعليمًا أدبيًّا في شبابه، ونحو عام ٣٨٠ م، انضم وصديقه جرمانوس إلى دير في بيت لحم حيث قضى هناك عدة سنوات وتأدب بآداب أديرة سوريا، ثم قدم إلى مصر مع صديقه جرمانوس ليتتلمذ على أيدي قديسيها.[١]، وقد جلس كاسيان مع صديقه جرمان في قلاية الأنبا موسى في برية شيهيت الذي استقبل هذين الحاجين وجلس معهما مدة طويلة[٢]، وبعد أن قضى الصديقان سبع سنوات في مصر عادا إلى ديرهما في بيت لحم، لكن ما لبثا أن زارا مصر مرة ثانية. وبعد ذلك ذهب كاسيان إلى القسطنطينية حيث رسمه القديس يوحنا فم الذهب شماسًا، وهناك شهد كاسيان وجرمانوس الأحداث التاريخية المؤدية إلى خلع ونفي فم الذهب. وفي عام ٤٠٤ م. ذهب إلى روما حاملًا رسالة التماس إلى البابا أنوسنت Innocent من أكليروس القسطنطينية يؤيدون فيها القديس يوحنا فم الذهب، ومكث هناك لفترة من الوقت، وربما كانت سيامته كاهنًا بيد أنوسنت في ذلك الوقت. ومن روما عاد كاسيان إلى فرنسا حيث استقر في مرسيليا وأسس ديرين وسط الغابات الكثيفة أحدهما للرهبان ويُقال إنه بُني على قبر القديس بقطر وهو شهيد من عصر دقلديانوس والآخر دير للعذارى. ولما كان لكاسيان من خبرة ودراية بالأنظمة الرهبانية في مصر، كان يُنظر إليه كمرجع ومصدر ثقة، ويُعد هو المنظم والمدبر الأول للرهبنة الغربية إذ نقل كل التراث القبطي من تعاليم وتسابيح وصلوات إلى الغرب[٣].

ويقال إنه كتب هناك كتابيه: المواعظ (Conference) والمعاهد(Institutions)، وأيضًا كتب مؤلفًا في تجسد المسيح (De Incarnatione Christi) ضد نسطور وبدعته إجابتة لطلب القديس ليون Leon. وهو يعتبر في الحقيقة زعيم أدبياتنا الروحية، إذ يلخص بريشة أستاذ كبير كل ما وعاه من دروس صحراء مصر وعنه معظم الكتاب في الموضوع، فلم يكن مثلًا القديس توما الأكويني (St.Thomas D'Aquin) سوى معلق على هذه الثروة النسكية. وهو بهذه المؤلَّفات وبهذا الدير الذي أسسه في مرسيليا كان في مقدمة من حمل إلى الغرب تراث الرهبنة كما أخذها من مصر. كان

---

(١) نفسه: ص ٤٤.

(٢) رسالة مارمينا: الرهبنة القبطية، الطبعة الثانية، مطبوعات جمعية مارمينا العجايبى، الإسكندرية ٢٠٠١م، ص٣٧-٣٩.

(٣) الآباء المؤرخون: مصادر التاريخ الكنسى: المرجع السابق، ص ٤٤-٤٥.

يدخل إلى قلالي الرهبان في وادي النطرون ويحادثهم ويسجل ما يسمعه منهم، وهو يدخل شيئا من صناعة الأدب في كتابته فيقسم المؤلف إلى أربعة وعشرين فصلًا، وإن لهجة الكتابة والتناسق وقداسة المؤلف، كل ذلك يجعلنا نرى في كاسيان لتعاليم البرية لا يرقى إليه الشك. وأرى أن أستطرد هنا فاذكر لمحة مختصرة عن المصادر الرئيسة الأخرى لتاريخ الرهبنة[1].

كوبين Coppien

يعد كوبين Coppien قنصل فرنسا بمدينة دمياط[2]، أول رحالة أوروبي في القرن السابع الميلادي، يزور برية شيهيت وكتب لنا وصفًا مختصرًا عن الأديرة الرهبانية، فزار دير الأنبا مقار، ودير الأنبا بيشوي، ودير **دير السريان** والأخير قال عنه: « إنه ملاصق مباشرة لدير الأنبا بيشوي»[3].

---

(١) رسالة مارمينا: المرجع السابق، ص ٣٨-٣٩.

(٢) مدينة دمياط: تقع شمال مصر على ساحل البحر المتوسط، وتتميز بطقسها المعتدل والهواء العذب، كما تتميز بكثرة مزارع الجوافة وأشجار النخيل، وكانت دمياط تسمى في العصر الفرعوني مدينة «تامحيت» أو»تم أتي» أي المياة أو ددينة مجري الماء، وعرفت في العصر اليوناني «تاميا تس»، وقد زادت العلاقات التجارية والثقافية بين مدينة دمياط والشعب اليوناني، وفي عهد الإمبراطور «قسطنطين الأول» انتشرت بها الأديرة والكنائس. وفي العصر العربي قام المقداد بن الأسود من قبل جيوش عمرو بن العاص بدخول دمياط حيث سيطر عليها وعلى منافذها، وقد ظلت دمياط بيد المسلمين إلى أن نزل عليها الروم في عام٩٠هـ، في عهد الخليفة العباسي أبي الفضل جعفر المتوكل قام الروم بدخولها. وفي أثناء الحملات الصليبية سنة ١١٧٠م دخلت الفرنجة دمياط حاصروا المدينة برًّا وبحرًا وأرسل صلاح الدين الأيوبي إليها الجند عن طريق النيل وأمدهم بالسلاح والذخيرة، فتركها الفرنجة وعادوا إلى بلادهم، ودخلها الملك الكامل. وفي ٤ يونية سنة ١٢٤٩م قام لويس التاسع ملك فرنسا بحملة وصلت إلى شواطئ دمياط، وهنا قدم شعب دمياط نموذجًا للبطولة والتضحية في مقاومتها، وتم وهزيمته في فارسكور والمنصورة وأسر لويس التاسع ملك فرنسا وتم سجنه في دار ابن لقمان بالمنصورة، وفدى نفسه ورجاله مقابل الجلاء عن دمياط، ولقد تم الجلاء في يوم ٨ مايو ١٢٥٠م، وأصبح هذا اليوم عيدًا قوميًّا للمحافظة. وفي عهد محمد علي (١٨٠٥-١٨٤٨) أصبحت المدينة مستودعًا لجميع الأصناف من الغلال، وفي القرن المنصرم تسير في موكب التقدم، حيث زادت المساحة الزراعية، وحفر الرياح التوفيقي، كما كان لتوقف التجارة وتعطيل الملاحة نتيجة نشوب الحرب العالمية الأولى (١٩٤١-١٩١٨م) تأثيره على الغرب، وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، أصبحت محافظة، وتعتبر دمياط من أهم المدن التي تشتهر بصناعة الأثاث، وصيد الأسماك، وصناعة النسيج والأحذية والحلوى وتعليب السردين والجمبري، وأيضًا صناعة الألبان، وكذلك صناعة الحلويات، وهذه المنتجات من الحلويات إلى العديد من الدول العربية والأوروبية. انظر: أرشيف مصر http://www.archivegypt.com

(٣) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق. ص ٩٠.

الراهب إبيفانيوس الأورشليمي

وقد زار برية شيهيت الراهب إبيفانيوس الأورشليمي ما بين عام ٨٠٠-٨١٠م، وجاءت زياراته عقب نقل القديس الأنبا مقار في عام(٧٩٣م)، وقد وصف لنا رحلته التي بدأها من مدينة الإسكندرية شمالًا إلى دير الأنبا مقار جنوبًا، حيث استغرقت نحو ستة أيام سيرًا على الأقدام، وذكر قائلًا: « «كان دير الأنبا مقار عبارة عن قلعة «الحِصن» يحيط بها ألف منشوبية وأكثر من ألف راهبًا». ومن دير القديس مقار على مسافة سفر أربعة أيام توجد أهراء يوسف الـ ٣٦، ويبدو أن إبيفانيوس لم يَزُر باقي أديرة برية شيهيت، وربما لم يعتبرها جديرة بالملاحظة، ونستخلص هنا أن الأديرة حتى مطلق القرن التاسع كانت بدون أسوار. وكان الحصن هو الملجأ وقت غارات العربان[١].

ماوهوب Mawhub

زار أديرة وكنائس برية شيهيت في عام ١٠٨٨م، وذكر أنه شاهد دير الأنبا يحنس كاما [٢] جسد القديس يحنس كاما. بعدها توقف سيل الرحالة عن زيارة الأسقيط[٣].

الملك الكامل ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب

قام الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب الملقب بـ أبي المعالي(١٢١٨ - ١٢٣٨م)، بزيارة وادي النطرون ونزل في دير الأنبا مقار ضيفًا على الرهبان الذين بالغوا في إكرام وفادته فغمرهم السلطان برضاه وأهداهم خمسمائة أردب منها ٣٠٠ قمح وشعير ومائة فول ومائة ترمس. وعامل الرهبان بكل احترام، وأعطاهم صكًّا بإعفائهم من الضرائب وبحق أيلولة تركة الراهب إلى ديره، وكان كرسي البطريركية شاغرًا في ذلك الزمان بسبب الانقسامات[٤].

---

(١) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ٨-٩.

(٢) دير أنبا يحنس كاما: ما زالت آثاره باقية حتى يومنا هذا، على بعد نحو ٣ كيلومترات جنوب شرق دير السريان، وبعد أن تخرب هذا الدير في القرن الخامس عشر الميلادي، ذهب رهبانه ومعهم جسد القديس يحنس إلى دير السريان العامر.

(٣) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق. ص ٩٠.

(٤) متى المسكين (الأب): الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ٤٨٣

الملك الظاهر بيبرس البندقداري يزور الدير ٤٨٤م

وفي أيام خلو الكرسي بين البابا أثناسيوس الثالث (١٢٥٠-١٢٦١م) البطريرك رقم (٧٦)، والبابا غبريال الثالث (١٢٦٨-١٢٧١م) البطريرك رقم (٧٧)، قام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البُنْدُقْدارِي الصالحي النجمي الملقب بـأبي الفتوح. سلطان مصر والشام ورابع سلاطين الدولة المملوكية ومؤسسها الحقيقي، بزيارة دير الأنبا مقار وذلك عام ١٢٦٤م[١].

مارينو سانوتو (١٢٦٠-١٣٣٨م) Marino Sanuto

قام مارينو سانوتو في عام ١٣٢٠م بزيارة منطقة برية شيهيت، وترك لنا خريطة تقريبية مهمة بمواقع الأديرة وما يجاورها من البحيرات، ويعطينا فكرة مبسطة عن هيئة الأديرة ورسمها الهندسي، فكل دير يظهر في الخريطة عبارة عن حصن مرتفع يلاصقه مربع من سور مرتفع يحوي داخله المباني الخاصة بكل دير من أديرة برية شيهيت[٢]. ومن الجدير بالذكر أن سانوتو ترك لنا العديد من المؤلفات نذكر منها كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها، ويوميات مارينو سانوتو، وخطط القدس وضواحيها ١٣٢٠م[٣].

الراهب جيليس دى لوش الكبوشي ١٦٣٣م Gilles De Loches

يعتبر جيليس دي لوش الكبوشي من أهم الرحالة الذين زاروا وادي النطرون في أوائل القرن السابع عشر الميلادي[٤] حيث زار وادي النطرون في عام ١٦٣٣م، واهتم بتسجيل كل ما

---

(١) نفسه: ص ٤٨٤.

(٢) نفسه: ص ٤٩١. انظر الشكل رقم ١١.

(3) https://en.wikipedia.org/wiki/Marino_Sanuto_the_Elder.

(٤) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق. ص ٩٠.

رأى بدير السريان دون غيره، وكتب أنه رأى بمكتبة دير السريان نحو ثمانية آلاف مجلد[١] وربما يكون مبالغًا في أقواله، التي بسببها وفد الرحالة بكثرة إلى الوادي طمعًا في الاطلاع والاستيلاء على المخطوطات، وخير مثال على ذلك مجيء الرحالة أجاثا فندوم Agathe Vendomeالكبوشي الذي كان يموله بيرسيك أحد أثرياء إيطاليا لشراء محتويات دير السريان[٢].

كلود دوران Claude Duran

زار الرحالة الفرنسي كلود دوران Claude Duran الأديرة القبطية في برية شيهيت في عام ١٦٤٠م[٣]. وفي الحقيقة كتب عن قطعة الجرافيت التي تظهر في كنيسة الملاك ميخائيل بدير القديس الأنبا مقار بوادي النطرون [٤].

سيور دولا بولاي لوجوز Sieur De Boullary LeGouz

زاروادي النطرون في سنة ١٦٤٩م [٥]، من أجل إنهاء بعض صفقات النطرون التجارية لصالح بلاده، حتى إنه خصص مساحة كبيرة من مذكراته للنطرون كمادة تجارية كانت تصدر آنذاك من الوادي إلى هافر وهي مدينة على ساحل بحر المانش بفرنسا ومنها إلى الرون حيث يستعمل في صباغة الكتان بمصانع نورمان. وعلى هامش زياراته لإنهاء صفقاته التجارية زار أديرة برية شيهيت وتحدث عن دير القديس الأنبا مقار[٦].

---

(١) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٢) مرتيروس السرياني (الراهب): القديس العظيم أنبا يوحنا القصير الشهير أبو يحنس، المرجع السابق، ص١٥٧.

(٣) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق. ص ٩٠-٩١.

(٤) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٥) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق. ص ٩٠-٩١.

(٦) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧-١٥٨.

ثيوفنت Thevenot

لقد زار ثيوفنت Thevenot مصر عام ١٦٥٧[١] وعلى الرغم أنه لم يزر برية شيهيت في وادي النطرون، فقد ترك لنا وصفًا شاملًا كل أديرة البرية، وذلك نقلًا عن رحالة لم يذكر إسمه، حيث ذكر أن الرحلة إلى منطقة الأسقيط كانت تبدأ من بولاق إلى الطرانة ثم إلى وادي النطرون، وكان الكاشف (المرشد) المحلي وعرب الصحراء يقومون بمهمة توصيلهم، وكان هناك طريقًا آخر مع رهبان الأديرة يبدأ من مدينة القاهرة إلى عزبة إتريس ثم إلى وادي النطرون، وسجل لنا أن أول الأديرة يمكن زيارتها كان دير القديس الأنبا مقار، ووصفه بأنه أكبر الأديرة، ولكنه أكثرها تهدما، وأن كنيسته تحتوي على العديد من رفات القديسين، كما توجد خمسة ألواح رخامية أو ستة متميزة بذكراها. وكان الحصن الذي يلجأ إليه الرهبان عندما يهاجمهم العرب يحتوي على كل الأشياء الثمينة، بما في ذلك كتبهم التي لا يتجاسرون على بيعها. وليست هناك حديقة، وماؤه مالح.

وفي الطريق إلى دير القديس الأنبا بيشوي، يشاهد «طريق الملائكة» الممتد إلى البرية الغربية وعلى طول الطريق كانت أيضًا خرائب قلالٍ عديدة، ومن ضمنها بقايا دير القديس يحنس كاما (القصير) حيث تظهر منه قبة واحدة فقط قائمة وتشاهد أيضًا شجرة الطاعة الشهيرة[٢] وذكر قائلًا: « إن دير السريان ملاصق لدير الأنبا بيشوي، وإن كان يبدو صغيرًا إلا إنه رائع وماؤه عذب ... وقال عن شجرة مارافرام ...إنها شجرة جميلة وهي الوحيدة من هذا النوع في مصر[٣].

---

(١) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق. ص ٩٠-٩٢.

(٢) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٣) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق. ص ٩٠-٩٢.

ثم يصل المسار في سيره نحو الغرب إلى البحر الجاف الذي يدعى بحر بلا ماء الذي كانت تكثر فيه سفن القراصنة، ولكنه جف بصلاة القديس مقاريوس، وتوجد قطع خشبية متحجرة بوفرة في هذا المكان، ويعتقد أنها بقايا أسطولهم وفي الجانب الغربي لهذا البحر يوجد تل يدعى «جبل الماسكوية» حيث توجد الحجارة التي تحملها النسور إلى أعشاشها لتبعد الثعابين. ويقع دير «دير السيدة العذراء (أي سيدتنا براموس) ليس على مسافة بعيدة. وهو كبير، ولكنه خرب قليلًا وبه حديقة وكنيسة جميلة والماء مالح، ولكن عدد الرهبان هنا أكبر من أي دير آخر بسبب إيراداته الأكبر[١].

يوهان ميشيل فانسليب Johann Michael Vansleb

زار يوهان ميشيل فانسليب الدومنيكاني (١٦٣٥-١٦٧٩م) وادي النطرون في سنة ١٦٧٢، ووصل إليه عن طريق إبحاره في فرع النيل الغربي من رشيد ثم نزل الطرانة، وهناك حدثت له حادثة فتخلي عن مشروعه، وخلال مكوثه في الطرانة وصف الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي سادت في الطرانة التي كانت ضمن ولايات مصر[٢]. وذكر في مذكراته قائلًا: «إن دير السريان والأنبا بيشوي كانا أحسن حالًا من ديري السيدة برموس والقديس مكاريوس (الأنبا مقار)»[٣].

كما أعطى يوهان ميشيل فانسليب وصفًا دقيقًا لطريق الملائكة الذي يربط بين دير الأنبا مقار والأنبا بيشوي. وقد علم فانسلب من مخطوطة عربية قديمة أن وادي النطرون كانت به ذات يوم سبعة أديرة كبيرة باسم مقاريوس ويحنس القصير أو القمص وبيشوي ومكسيموس ودماديوس، وموسى الأسود، وكاما وعذراء السريان القديسة بالإضافة إلى ٣٠٠ مشوبية

(١) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٨-١٥٩.
(٢) مرتيروس السرياني (الراهب): المرجع السابق، ص١٥٨.
(٣) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق. ص ٩٠-٩٣.

للمتوحدين، والسواح، ولكن من بين هذه جميعها كما أخبروه كان دير الأنبا بيشوي والسريان فقط ذوي اعتبار، فكلاهما يتمتعان بماء جيد، والدير الثاني به كنيستان إحدهما للسريان، والأخر للأقباط، وفي نفس الدير تشاهد الشجرة الإعجازية النابعة من عصا القديس إفرام فهذا القديس ترك عصاه عند الباب عندما ذهب لزيارة أحدهم في الدير أزهرت في الحال وأورقت، ويقولون إنه في كل مرة لا يوجد مثيلها[١] .

كما وصف دير القديس يحنس كاما حيث ذكر أنه في حالة سيئة جدًّا، كما توجد به شجرة إعجازية أخرى، وقد نبعت هذه الشجرة من عصا هذا القديس (يحنس) الذي بناء على أمر معلمه غرسها في الأرض ورواها وبسبب هذا تُدعى - وما زال الرهبان يسمونها - «شجرة الطاعة»، وفي الطريق المؤدي من السريان إلى تل «أحجار النسور» يشاهد البحر بلا ماء»، وسجَّل في مذكراته «رحلة جديدة في الديار المصرية» و«تاريخ كنيسة الإسكندرية» ووصف الخراب التام الذي حل ببرية شيهيت في تلك الفترة[٢].

روبرت هنتنجتون Robert Huntington

روبرت هنتنجتون (١٦٣٧-١٧٠١ م) وهو قسيس بشركة المشرق، وكان عميد كلية ترينيتي Trinity[٣] زار أديرة برية شيهيت ما بين عام ١٦٧٨-١٦٨١م قبل أن يرسم أسقفًا على رافوي Raphoe في إيرلندا، وزار مصر مرة أخرى في بعد عام ١٦٨١م، والخطاب الذي يحتوي على زيارته كتبه بعد نحو ما يقرب من خمسة عشر عامًا في مذكراته، وأول ما كتبه عن بحيرات النطرون، ملاحظًا أن العرب يدعونها بصفة عامة حسب ما كتبه قائلًا: « لطرون»، وصف لنا أن دير البراموس يبعد نحو ثلاثة أميال عن دير القديس الأنبا مقار[٤] ، وتناول دير السريان وشجرة مار آرام السرياني وذكر قائلًا: « كان يوجد حجران كبيران صخريان يميزان باب دير

---

(١) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) نفسه: ص ١٦٠.

(3) https://en.wikipedia.org/wiki/Robert_Huntington.

(٤) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٠-١٦١.

السريان»[1]، وكان الهدف الرئيسي لزيارته البحث عن المخطوطات، إلا أنه كتب في مذكراته «رسائل هنتنجتون»: «إنني لم أحصل إلا على مخطوطة واحدة تحوي الكتاب المقدس» كما دون الكثير عن أوضاع الوادي الاقتصادية والاجتماعية[2].

الأب غبريال إيفا Gabriel Eva

غبريال إيفا من الذين زاروا أديرة وادي النطرون في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، وهو أحد آباء دير القديس مارت مورا[3] بجبل لبنان، إذ كان في روما مبعوثًا من بطريركه، فكلفه

---

(١) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق. ص ٩٢-٩٣.

(٢) صموئيل تاوضروس السرياني: الأديرة المصرية العامرة، المرجع السابق، ص ٨٣.

(٣) دير القديس مارت مورا: يقع في قرية إهدن في محافظة الشمال، هي مركز قضاء زغرتا الصيفي، على متوسط ارتفاع ١٥٠٠م.عن سطح البحر، تصلها عبر عدة طرقات، نذكر منها: طريق بيروت، طرابلس، زغرتا، سبعل، أيطو؛ أو طريق شكا، حدث الجبة، بشري، كفر صغاب، ويعود تاريخ بناء الدير إلى عام ١٣٣٩م، حيث سكنه المطارنة فترة طويلة، وكان أول كرسي لمطرانية إهدن، بعد ذلك سكنه نساك ورهبان. فيه أبصرت الرهبانية اللبنانية المارونية النور، يوم سكنه رهبان منها سنة ١٦٩٥م سكنه رهبان من الرهبنة الحلبية وكان مهد الرهبنة، لكن هذا الدير خرب بفعل الزمن، وتم ترميمه عام١٩٨٣م، وهو أحد المعالم الآثرية لقرية إهدن بالإضافة إلى كنيسة مار ماما هي أول كنيسة مارونية في لبنان، بُنيت سنة ٧٤٩م، وتقع في وسط إهدن، تمّ تشييدها على أنقاض هيكل وثني، وقد بُنيت بحجارته، وفي أحد جدرانها حجر يحمل كتابات ورموزًا لم يتمكن أحد حتى اليوم من فك رموزها وقراءتها ومعرفة مضمونها، كما توجد كنيسة مار جرجس التي تعتبر من أقدم كنائس لبنان، وبُنيت على بقايا هياكل إهدن الوثنية على أنقاض القلعة التي هدمت عام ١٢٨٣م، وقام الإهدنيون ببناء كاتدرائية جديدة إلى جانب الكنيسة القديمة. وأقيم في ساحتها نصب تذكاري لبطل لبنان يوسف بك كرم، ولا يزال جثمانه موجودًا داخل الكنيسة. وكنيسة سيدة الحصن التي بناها الصليبيون على أنقاض الحصن الذي هدمه المماليك سنة ١٢٨٣م، وتقع على قمة جبل شمالي غرب إهدن، وتمّ ترميمها سنة ١٩٦٣م، ويقع بالقرب منها تمثال كبير للسيدة العذراء، تمّ تنفيذه سنة ١٩٨٥م، وبالقرب منه بُنيت كاتدرائية كبيرة على اسم سيدة الحصن. وهناك بعض الأديرة والكنائس منها دير مار يعقوب، ودير مار سركيس وباخوس، وكنيسة سيدة الحارة، وكنيسة مار بطرس وبولس، ومار سمعان، ومار عبدا.

موقع دير السريان

http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com

البابا كليمنت الحادي عشر أو إكليمنضس الحادي عشر Clemente XI (١٧٠٠-١٧٢١م) بالتعرف على نوايا البابا «يؤانس السادس عشر»(١٦٧٦-١٧٨١م) بطريرك الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، للتعاون مع الفاتيكان. وبعد أن قام الأب غبريال إيفا بمهمته، حج إلى الأديرة المصرية الرئيسة، بما في ذلك أديرة برية شيهيت، وعند عودته إلى مدينة روما في عام١٧٠٦م، قدم تقريرًا تفصيليًّا للفاتيكان عن زيارته إلى بابا الكنيسة القبطية، والأديرة المصرية، والمكتبات المهمة بالأديرة وما تحتوي عليه من مخطوطات وكنوز أثرية، وهذا التقرير كان له أهمية كبيرة لدي الباحثين والمؤرخين والرحالة والمهتمين بكنوز وآثار الأقباط في مصر.

إيلياس السمعاني

زار الراهب اليسوعي إلياس السمعاني أمين مكتبة الفاتيكان وادي النطرون في عام ١٧٠٧م، بناء على تعليمات من بابا روما «كليمنت الحادي عشر» Clemente XI (١٧٠٠-١٧٢١م)، الذي كان مهتم بتزويد مكتبة الفاتيكان بمجموعة من المخطوطات الشرقية وخاصة مخطوطات وكنوز أديرة برية شيهيت[١]، ونجح إلياس بمعسول كلامه أن يستحوذ على ٤٠ مجلدًا منتقاة من مكتبة دير السريان حملها إلى مكتبته[٢]، أما ملاحظاته عن أديرة الأسقيط فهي قليلة الفائدة بصفة عامة، فلم يكتب في مذكراته إلا عن القبو الذي اكتشف فيه المخطوطات، وعن اللصوص البربرية في صحراء البرية وتخريبهم للأديرة والكنائس والمنشوبيات بوادي النطرون [٣].

الأب كلود سيكار(١٦٧٧-١٧٢٦م) Gloud sicard

وُلد الأب كلود سيكار في ١٦٧٧م في أوباجن Aubagne، درس في مرسيليا Marseille، وفي عام ١٦٩٢م التحق بالمبتدأ اليسوعي في مدينة لأفيجنون d'Avignon ، ثم درس في كلية

(١) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٣.

(٢) مجلة مرقس: السنة ٥٨، العدد ٥٢٢، مقال بعنوان: «من تاريخ كنيستنا: البابا يؤانس السادس عشر»، بتاريخ أمشير/ برمهات ١٧٣٠/ مارس ٢٠١٤م، ص ٣٥. انظر ملحق رقم ٣.

(٣) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٣-١٦٤.

ليون، وعمل أستاذًا للدراسات الإنسانية فيما بعد في ذات الكلية، وفي عام ١٧٠٦م[١]، ثم جاء إلى الشرق على رأس بعثة دينية، وفي سورية تعلم عدة لغات منها العربية واليونانية والسريانية والعبرية[٢]، وتم تعيينه رئيسًا للمقر اليسوعي بمدينة حلب في سوريا في عام١٧١١م، ثم جاء على رأس البعثة اليسوعية إلى القاهرة في عام١٧١٢م، وسافر إلى نواحٍ عديدة في مصر، ووصف وحدد لنا بعض الأماكن القديمة والتي ورد ذكرها بالكتاب المقدس، ويعد أول رحالة يزور أبيدوس، وإدفو، وجزيرة فيلة، ورسم أول خريطة معروفة لمصر. وقام بإعداد دراسة تفصيلة لهذه المناطق، ولم يمهله القدر ليرى ثمرة جهده[٣]، بعد أن مكث في مصر عشرين عامًا حيث توفي عام ١٧٢٦م من جراء الطاعون[٤].

على أية حال، في ٧ ديسمبر ١٧١٢ زار الأب الأب كلود سيكار الجزويتي أديرة وادي النطرون، والتي اعتبرها النقطة الاستراتيجية لنشر الكثلكة بين رهبانه لسهولة انتشارها بعد ذلك بين الشعب القبطي، لكي يكسب ود بابا روما، ولكن محاولاته باءت بالفشل لتصدي الرهبان له [٥] فظهر تعصبه لمذهبه في كتاباته باتهام الرهبان بالجهل والتخلف، كما وصف المذهب الأرثوذكسي على حد قوله بأنه «يحتوي على الكثير من الخرافات» والأقباط في نظره «جهلة» ولذلك تؤخذ كتاباته بحذر شديد من جانب الكنيسة المصرية القبطية لعدم التزامه العلمي وتحيزه وعدم حيادته لتعصب الكثلكة[٦].

---

(1) https://de.wikipedia.org/wiki/Avignon.

(٢) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عش، مرجع سابق، ص ٥٩.

(3) https://de.wikipedia.org/wiki/Avignon.

(٤) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عش، مرجع سابق، ص ٥٩.

(٥) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٤.

(٦) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ٦٠.

ومع ذلك فإننا لا ننكر فضل الأب كلود سيكار في تدوين زيارته التاريخية لبرية شيهيت التي بدأها من بولاق في ٥ ديسمبر ١٧١٢م بصحبة رئيس دير القديس الأنبا مقار[١]. وفي السابع من ديسمبر شرع في اجتياز البرية في صحبة رئيس دير الأنبا مقار ومعهما راهب آخر كان يحمل إمدادات الأديرة، ويصف لنا سيكار الملامح العامة للأديرة الموجودة بعد أن يذكر أسماءها، وطريق الملائكة، وعدد الرهبان بها، ونمط الحياة الرهبانية، والمؤسسات الخدمية التي توجد في كل دير، كما وصف لنا الخرائب التي توجد حول الأديرة، كنتيجة طبيعية للهجمات البربرية[٢].

يوسف سمعان السمعاني Giuseppe Simone Assemani

وُلد يوسف السمعاني في ٢٧ أغسطس١٦٨٧م في حصرون بجبل لبنان، وأرسل في عمر مبكر إلى الكلية المارونية بمدينة روما بإيطاليا. وفي عام ١٧٠م رسم كاهنًا، وارتحل إلى مصر وسوريا بحثًا عن مخطوطات لضمها لمكتبة الفاتيكان، بناء على توجيهات البابا كلمنت الحادي عشر Clemente XI (١٧٠٠-١٧٢١م)، وفي عهد البابا كلمنت الثاني عشر (١٢ يوليو ١٧٣٠- ٦ فبراير ١٧٤٠م) ترأس سينودس جبل لبنان عام ١٧٣٩م، ويعد من مؤسسي الكنيسة المارونية الحديثة في لبنان، كما عُين أول مشرف على مكتبة الفاتيكان سنة ١٧٣٩م كمكافأة لجهوده، ونُصب رئيسًا لأساقفة مدينة صور سنة ١٧٦٦[٣] وتنيح (توفي) بروما في ١٣ يناير ١٧٦٨م[٤].

على أية حال، زار المونسينيور يوسف السمعاني وادي النطرون ١٧١٥م[٥]، وقد وفد إلى مصر بتوجيه من بابا روما «كليمنت الحادي عشر» Clemente XI (١٧٠٠-١٧٢١م) مثل ابن عمه إلياس السمعاني، وكان أيضًا أمينًا لمكتبة الفاتيكان، فلما رآه البابا الروماني ذا خبرة وكفاءة عالية وحكمة في انتقاء المخطوطات الشرقية والقبطية بصفة خاصة، انتدبه لإحضارها. فوصل

---

(١) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق. ص ٩٢-٩٣.

(٢) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٥ -١٦٧.

(3) http://www.treccani.it/enciclopedia/giuseppe-simonio-assemani_(Dizionario-Biografico)/.

(4) http://data.bnf.fr/en/12370549/giuseppe_simone_assemani/.

(٥) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

إلى البرية المقدسة بصحبة الأب كلود سيكار عام ١٧١٥م واستمتع بضيافة الرهبان له مدة ٨ أيام[١]، عاد بعدها يحمل مجموعة من هذه المخطوطات القبطية والسريانية من ديرى السريان والأنبا مقار، وهي محفوظة حاليًا في مكتبة الفاتيكان[٢].

كما وصف لنا المونسينيور يوسف السمعاني في مذكراته أنه رأى قلاية ضيقة في دير السريان، زعم أنها قلاية القديس الأنبا بيشوي نفسه، وتدعي المصلى أو مكان الصليب، وأن جسد القديس» ماروتا» أسقف تكريت محفوظ بها، وأنه نقل إلى هناك عندما تعرضت ميسوبوتاميا (العراق) للغزو الفارسي والعربي. وباستثناء هذا لم تصلنا أية تفصيلات عن زيارته لبرية شيهيت، كما ذكر في مذكراته أن رئيس دير الأنبا مقار أبدى قبوله عقيدة الطبيعتين، واصطحبه معه إلى روما حيث أقامه البابا رئيسًا على دير أستفانوس وظل بذلك المنصب إلى أن توفي في سنة ١٧٤٠م عن عمر يناهز ١٠٧ أعوام[٣].

كلود تورتشوت جرانجيه

وقبل التعرض لوقائع رحلة كلود تورتشوت جرانجيه Claude Tourtechot Granger إلى وادي النطرون عام ١٧٣٠م،[٤] من الضروري التعريف بشكل مختصر بهذا الجراح ورحلته الى لمصر عام ١٩٣٠م لدراسة التاريخ الطبيعي بها،[٥] والواقع أنه لا يعرف إلا القليل من المعلومات عن سيرته الذاتية حيث لا يعرف تاريخ ومكان ميلاده، ولكنه ينسب إلى المحافظة الشرقية لفرنسا، والتي تُسمى ببورجونيا وعاصمتها مدينة ديجون، التي وتقع على الطريق

---

(١) مجلة مرقس: السنة ٥٨، العدد٥٢٢، مقال بعنوان»من تاريخ كنيستنا: البابا يؤانس السادس عشر»، بتاريخ أمشير/ برمهات ١٧٣٠ / مارس ٢٠١٤م، ص ٣٥.

(٢) مرتيروس السريانى (الراهب): المرجع السابق، ص ١٥٨. انظر ملحق رقم ٢.

(٣) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص١٦٨.

(٤) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

(5) http://www.worldcat.org/title/relation-du-voyage-fait-en-egypte-en-lannee-1730-ou-lon-voit-ce-quil-y-a-de-pl.

الواصل بين مدينة ليون والعاصمة باريس، وتُعتبر من المدن الأوروبية السباقة في مجال الفنون والتعليم[١].

على أية حال، يبدو أن كلود تورتشوت جرانجيه ولد في أواخر القرن السابع عشر، وقد درس الطب والجراحة واشتهر في جنوب فرنسا في معالجة المصابين بالطاعون[٢]، وذاعت شهرته في مارسيليا وطولون، في عام ١٧٢١م، وشاءت الظروف أن يختار ليشغل وظيفة جراح في مستشفى رجال الدين المسيحيين في تونس[٣]، حيث مكث بها ما بين عام(١٧٢٣-١٧٢٨م)، وبعد عودته الى فرنسا عمل في حديقة الملك في باريس حيث انكب على تغيير تخصصه واهتم بالتاريخ الطبيعي وعلم النبات[٤]، وقد التقى ذات يوم بالقنصل الفرنسي «جان بيير بينيون» الذي عرض عليه السفر للقاهرة، وزار مصر عام ١٧٣٠م، ثم عاد إلى فرنسا[٥]، وبعد رجوعه عيّن في الإكاديمية الملكية للعلوم ثم كلف بمرافقة صديقه القنصل الفرنسي في مصر «جان بيير بينيون» بالرحيل الى ليبيا التي وصلها في بداية شهر أغسطس ١٧٣٣م وبقى متجولاً فيها نحو أحد عشر شهرًا،[٦] وبعدها ارتحل إلى اليونان في يوليو عام ١٧٣٤م، وعاد إلى مصر مرة ثانية حيث كان مكلف بمهمة رسمية من قبل ملك فرنسا إلا وهي «البحث عما يخدم التاريخ الطبيعي»، واستقر بها ما بين (١ أغسطس ١٧٣٤ إلى ٢٩ يونية ١٧٣٥م)، ثم زار قبرص التي مكث بها إلى أول أكتوبر(١٧٣٥م)، ومنها زار بلاد الشام والتي استقر بها إلى ١٥ سبتمبر ١٧٣٦م، ثم توجه منها إلى مدينة حلب ثم الى ديار بكر ومنها أبحر إلى مدينة بغداد حيث زار

---

(١) موقع موضوع: مقال وعنوانه"مدينة ديجون الفرنسية"، بتاريخ ٢٢ يناير٢٠١٧م. http://mawdoo3.com

(2) http://khaledelhaddar.blogspot.de/2008/11/1733-1734.htmll.

(٣) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص٦٢.

(4) http://khaledelhaddar.blogspot.de/2008/11/1733-1734.htmll.

(٥) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص٦٢.

(6) http://www.worldcat.org/title/relation-du-voyage-fait-en-egypte-en-lannee-1730-ou-lon-voit-ce-quil-y-a-de-pl.

بعض المدن العراقية قبل الوصول إليها، وفي شهر ديسمبر ١٧٣٦م كان في بغداد ثم اتجه منها إلى البصرة، وفي طريق عودته إلى حلب مات في الصحراء قرب البصرة أثر ضربة شمس في ٢٩ يوليو١٧٣٧م، وقد دُفن هناك[١].

وهنا يجب أن نسجل أن كلود تورتشوت جرانجيه قد كتب وصفًا عن مشاهداته وانطباعاته عن المدن والبلدان العربية التي زارها، وكان يرسلها إلى كونت موريباس(Maurepas) وزير الشؤون البحرية الفرنسية في شكل رسائل، وموريباس هو الذي دعم جرانجيه في رحلاته وهو الذي كلفه بها[٢]. وقد نشرت رحلات جرانجيه عام ١٧٤٥م ولكنها كتبت بأسلوب غير أدبي، زار جرانجيه في رحلته الأولى إلى مصر الأديرة القبطية، وتوغل في مدن مصر العليا فوصل إلى أخميم ثم أكمل رحلته إلى العرابة المدفونة في أبيدوس، وكتب عن الكرنك فوصفها» أنها أجمل معابد العالم» كذلك زار أديرة البحر الأحمر ودير القديس أنطونيوس والأنبا بولا، كما زار المغارات والمنشوبيات القبطية وأديرة الكابوس[٣]. وقد تم نشر العديد من رسائله المجهولة في الإرشيف الوطني الفرنسي ما يربو عن ٢٧٠ عامًا حتى نشرت مؤخرًا [٤].

والحقيقة التاريخية أن كلود تورتشوت جرانجيه زار وادي النطرون في رحلته الأولى عام ١٧٣٠م من أجل دراسة التاريخ الطبيعي وتسجيل التغيرات الطبوغرافية التي تعرض لها الوادي خلال العصور الجيولوجية، أي دراسة العاديات أو الدراسة التحليلية الستيلستيكية للوادي؛ ولذلك ورد الكثير في وصفه عن مادة النطرون والخشب المتجر، والنباتات التي تنمو، والحيوانات التي تعيش في برية شيهيت، كما وصف لنا البحر الفارغ، وذكر أن أسباب جفافه ترجع إلى صلوات القديس إفرآم، ولكنه لم يذكر إلا القليل عن أديرة برية شيهيت، فهو يغفل

(1) http://khaledelhaddar.blogspot.de/2008/11/1733-1734.htmll.

(2) A.Riottot, Voyage Dans L'empire Ottoman du naturaliste Claude Granger 1733-1737, (Paris, L'Harmattan:2006).

(٣) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص٦٣.

(4) A.Riottot, Voyage Dans L'empire Ottoman du naturaliste Claude Granger 1733-1737, (Paris, L'Harmattan:2006).

دير القديس الأنبا بيشوي وأطلق عليه اسم الدير الأبيض لأنه ليس به ما يستحق الاهتمام. كما لم يكتب لنا شيئا عن دير السريان، ودير القديس الأنبا مقار(مقاريوس)، عدا ذلك كتب لنا أن الرهبان لم يصرحوا له بدخول مكتباتهم أو يطلع على كتبهم بأي ثمن. ولكن الحقيقة الجديدة الوحيدة، التي ساهم بها جرانجيه هي أنه ذكر في رحلته قائلًا: «هناك ثلاثة مصانع زجاج تشاهد في الجنوب الشرقي من بحيرة النطرون على الطريق إلى دير القديس مقاريوس»[1].

تشارلز نيكولاس سيجيسبرت سونيني دي مانونكورت (١٧٥١-١٨١٢م)

تشارلز نيكولاس سيجيسبرت سونيني دي مانونكورت Charles Nicolas Sigisbert Sonnini de Manoncourt وُلد في ١ فبراير١٧٥١م في اللورين Lorena، عمل محاميًا ومهندسا بحريًّا وعالمًا في الطبيعة، زار أمريكا خلال (١٧٧٢-١٧٧٥م)، وغرب أفريقيا، اهتم بالتاريخ الطبيعي والطبي، وكتب (١٢٧) مجلدًا ما بين عام (١٧٩٩-١٨٠٨م) من التاريخ الطبيعي منها مجلد يتناول التاريخ الطبيعي للزواحف، كما كتب أربعة مجلدات مع «بيير أندريه لاتريل» ويشمل هذا العمل وصفا وتوضيحا للعديد من الزواحف في أمريكا الشمالية[2].

وقد زار سونيني دي مانونكورت مصر خلال (١٧٧٧-١٧٨٠م) وذكر في كتابه «سافرنا إلى مصر بتكليف من الكونت بوفون للقيام بعدة أبحاث لتقديمها إلى الوزير برتال» أي إن رحلته لمصر كانت رسمية ولذلك ساعدته غرفة تجارة مرسيليا بالأموال لتغطية نفقات رحلته. وقد زار مصر وقت زيارة البارون دي توت لها ونشر كتابه من ثلاثة أجزاء مصحوبًا بالرسومات عن مصر وآثارها وثروتها الزراعية، ولكن رغم أهمية كتاب سونيني فإنه فقد أهميته بعد نشر كتاب وصف مصر. ويعتبر مؤلف سونيني من أهم المؤلفات التي كان لها تأثيرها بعد كتاب سافاري وفولني وعمله يعتبر مكملا لعمل سافاري وفولني وباعتباره طبيبًا كانت ملاحظاته أعمق من سافاري وفولني فيما يتعلق بالحياة الطبيعية والأمراض، ولكن من الطبيعي أيضًا أن

---

(١) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص١٦٨.

(2) https://it.wikipedia.org/wiki/Charles-Nicolas-Sigisbert_Sonnini_de_Manoncourt.

تجيء كتاباته عن الآثار سريعة، وقد التقى سافاري بمراد بك وزاره في معسكره، وأشاد بفخامة المعسكر وحاول مراد بك إقناعه بالعمل في خدمته كطبيب ومهندس ولكنه رفض ذلك[١].

وقد زار سونيني دي مانونكورت وادي النطرون في عام ١٧٧٨م[٢]، ووصف لنا أديرة برية شيهيت بصفة عامة والرهبان بصفة خاصة وقد إجتاز البرية من قرية تدعى هونز إلى وادي النطرون، وفي أثناء زيارته سرقه بربر الصحراء، ويبدو أنه تعرض لخطر، وهذه الحقائق توضح لنا سبب هيجانه الشديد الذي يظهر من طريقة وصفه لرهبان البرية، حيث اتهمهم بأنهم جهلاء، وغير متمدنين. ولكن لا ننكر أن سونيني سجل لنا حالة فريدة في البرية لم يتناوله من قبل الرحالة الزائرين للوادي، وهي قبل أن تصل إلى بحيرات النطرون ذكر قائلًا: «هناك بيت صغير على انحدار التل، ويقول الأقباط إنه قد وُلد فيه قديس يكرمونه خاصة، ويدعى القديس مكسيموس. ومن غير المعروف طبيعة هذا البناء». وبالإضافة إلى ذلك قدم وصفًا لأديرة الأسقيط مثل دير البراموس والسريان والأنبا مقار (مقاريوس) والأنبا بيشوي، ولم ينسَ الإشارة إلى الخرائب والحصون التي وجدت في كل دير، وعدد الرهبان والحياة الرهبانية اليومية للراهب، والرهبان وصلاة القداس الإلهي[٣].

أنطوان فرانسوا أندريوسي Andreossy

وأندريوسي جنرال(عسكري) وديبلوماسي، وهو الحفيد الأصغر لأندريوسي المهندس والعالم الرياضي، كان عضوًا في مجمع القاهرة وبعد عودته إلى فرنسا عين سفيرًا لبلاده في لندن ثم فيينا ثم إسطنبول على التوالى. وخلال المائة يوم عاد إلى الخدمة تحت قيادة نابليون، وبعد معركة واترلو Waterloo عام ١٨١٥م شارك في المفاوضات لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وله دراسات مهمة أبرزها دراسة عن تناقص مساحة كوب الأرض[٤].

---

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص٦٩-٧٠.

(٢) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

(٣) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص١٦٨-١٧١.

(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر-العرب في ريف مصر وصحاريها، ج٢، مرجع سابق، ص١٢.

زار أنطوان فرانسوا أندريوسي (١٧٩٩-١٨٠١م) أحد قواد الحملة الفرنسية على مصر وادي النطرون، بعد أن أسند إليه نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية بأن يقوم برحلة استكشافيه لوادي النطرون وأديرته القبطية،[١] فخضع للأمر وسافر من الطرانة، وقد استغرقت رحلته من ٢٣ يناير إلى ٢٧ من نفس الشهر عام١٧٩٩م، واهتم هذا الرحالة بوصف وادي النطرون طبيعيًا وجغرافيًا واقتصاديًا ودينيًا ودون ذلك في مذكراته بعنوان «رحلة إلى وادي النطرون» والتي نشرت ضمن سلسلة وصف مصر[٢].

وقدم لنا الجنرال أندريوسي وصفًا دقيقًا لبيت القديس مكسيموس الذي أشار إليه سونيني، حيث ذكر فرانسوا المنزل قائلًا: «يقع في الشمالي الشرقي لبحيرات النطرون، وبناه الكاشف السابق لصد البدو، وكان عبارة عن بناء مربع الشكل، وتوجد معاقل مستديرة عند ركنين من أركانه، وأنه كان مبنيًا بقطع من النطرون، وكان دير السريان يبعد عن هذا المبنى نحو ٧٤٣٠ مترًا وثلثي المتر. بينما كان دير البراموس يبعد ٩٢٥٨ مترًا وربع متر من دير السريان»[٣].

وفي وصف الجنرال أندريوسي للأديرة نقطتان فقط تستحق الإشارة إليها:

أولًا- أعطى مقاييس لشجرة مار إفرآم السرياني على النحو التالي: حيث وصل ارتفاعها ستة أمتار ونصف. ومحيط الساق ثلاثة أمتار. وأنها في ذلك التاريخ كانت تظهر بأنها ذات عمر ملحوظ، ولكن هذه المقاييس ليست كافية لعمل تاريخ تقريبي ممكن.

ثانيًا- يؤكد أندريوسي على أن ماء دير القديس مقاريوس كان مالحًا، ولكن كانت توجد بئر على مسافة ٤٠٠ متر من الدير ماؤها عذب.

وبالإضافة إلى ذلك سجل لنا الجنرال أندريوسي عدد رهبان كل دير، وأشار إلى المخطوطات التي رآها في الأديرة، كما سجل خرافة خاصة سائدة في المناطق المجاورة، وهي أنه عندما بنى

---

(١) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

(٢) تأليف علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر-العرب في ريف مصر وصحاريها، المرجع السابق،٤٣-٧٣.

(٣) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص١٧١.

أحد المسلمين في الدلتا برج حمام، أرسل خطابا مع هدية إلى أديرة برية شيهيت. فردَّه الرهبان في المقابل ببرقية مكتوبة وضعها في برج الحمام فضمن وفرته[١].

موراي Murray

زارت السيدة موراي Murray أديرة وادي النطرون في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت تعمل مرشدة سياحية، وبدأت رحلتها لبرية شيهيت بزيارة دير القديس الأنبا مقار (مقاريوس)، ثم زارت دير السريان وذكرت عنه قائله: «إنه أجمل أديرة الأسقيط، ويبدو في شكله مثل فلـــــك نوح»، ولكنها هي وبـــــدكي Baedekei خلطا بين عصاة الطاعة التي للأنبا يحنس القصير، وبين الأنبا يحنس كاما، وكتبت لنا موراي دراسة بعنوان «للمسافر إلى مصر العليا والسفلى»[٢].

يوهان هاينريش فون مينوتولي

وُلد الألماني يوهان هاينريش فون مينوتولي في مدينة جينيف في ١٢ مايو ١٧٧٢م، وكانت عائلته تنتمي إلى مدينة لوكا Luccaالإيطالية، وهاجرت إلى سويسرا في القرن السابع عشر[٣]، في بداية حياته تلقى تعليمه في منزل عائلته، وفيما بين عامي (١٧٨٢-١٧٨٤م) التحق بالمدرسة الثانوية في كارلسروه Karlsruhe، ثم تم تدريبه من قبل نقيب مهندس النمساوي في المسائل العسكرية، وفي عام ١٧٨٦م التحق بالخدمة العسكرية البروسية، وكان عمره نحو أربعة عشر عامًا، وتوسط له عمه لودفيج موريتز فون لوكادو Ludwig Moritz von Lucadou الذي كان يعمل قبطانًا لدى أحد اللواءات، فألحقه في بومبارديه في سلك مدفعية الميدان وخدم لمدة عامين، وفي عام ١٧٨٩م التحق للتدريب بكتيبة الضباط في ماجديبورج Magdeburg، وخلال هذه الفترة تعلم اللغة اليونانية واللاتينية والإيطالية والإنجليزية[٤].

---

(١) نفسه:، ص١٧٢.

(٢) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٣.

(3) https://www.deutsche-biographie.de/gnd100791549.html#ndbcontent.

(4) https://de.wikipedia.org/wiki/Heinrich_Menu_von_Minutoli#cite_note-NDB-1.

في ١٧ مايو ١٧٩٠، تمت ترقية يوهان هاينريش فون مينوتولي إلى رتبة ملازم ثانٍ، ثم شارك في الحملة ضد فرنسا ما بين عامي (١٧٩٢-١٧٩٣م)، وحارب في بيرماسنس Pirmasens، وششانزيل وكذلك في العاصفة على بيتسشBitsch. ولكنه أصيب في ذراعه اليمنى بجروح بالغة وظل معوقًا حتى نهاية حياته؛ لهذا السبب تم تعيينه في عام ١٧٩٤م كقبطان ومعلم ومدرب في الفيلق النبيل في كاديت Kadettenkorps في برلين، ومنذ عام ١٧٩٧م أصبح رئيسًا للتدريب؛ وكان واحدًا من أوائل دعاة التجنيد الإجباري جنبًا إلى جنب مع الجنرال إرنست فون روشيل. ومنذ عام ١٨١٠م وحتى مارس ١٨٢٠م عينه فريدريش ويلهلم الثالث Friedrich Wilhelm III. مربيًا للأمير كارل البالغ من العمر تسعة أعوام[١].

وعرف عن يوهان هاينريش فون مينوتولي شغفه بالحضارة المصرية القديمة، ولذلك دعته الحكومة المصرية في عام ١٨٢٠م ليرأس أحد بعثتها الأثرية للتنقيب عن الآثار في ربوعها، ورافقه آخرون منهم فيلهلم فريدريش، وكريستيان جوتفريد إهرنبيرج، والمهندس لودفيج ثيودور ليهان (١٧٨٨-١٨٢٠)، الذي تُوفي بعد وصوله إلى الإسكندرية في ١٣ ديسمبر ١٨٢٠م بسبب مشاق السفر. ورافقه أيضًا المستشرق واللاهوتي يوهان مارتن أوغستين شولز، الذي انفصل عنهم في مدينة القاهرة، وعند عودة مينوتولي إلى ألمانيا كان يحمل نحو ٩٧ صندوقًا؛ تحتوي على العديد من القطع الأثرية المصرية القيمة، وقد فقدت صناديق كثيرة من الشحنة ما بين تريست إلى هامبورج لأن السفينة «جوتفريد» Gottfried غرقت في ليلة ١٢ مارس ١٨٢٢ في مصب نهر إلب Elb نتيجة إعصار شديد. ولم يصل إلى برلين سوى ٢٠ صندوقًا تم نقلها برًّا، اشترها ملك بروسيا وهي التي شكلت المتحف المصري في العاصمة الألمانية برلين[٢]. وأصبح عضوًا فخريًّا في الأكاديمية البروسية للعلوم، وحصل على لقب الفريق، وبعد إحالته للتعاقد عاش بالقرب من لوزان. وتنيح (مات) في ١٦ سبتمبر ١٨٤٦م في برلين ودفن في مقبرة في ذات المدينة[٣].

---

(1) ibid.

(2) https://de.wikipedia.org/wiki/%C3%84gyptisches_Museum_Berlin.

(3) https://de.wikipedia.org/wiki/Heinrich_Menu_von_Minutoli#cite_note-NDB-1.

وقد زار يوهان هاينريش فون مينوتولي وادي النطرون عام ١٨٢٠م، وقد سجل لنا الأسماء العربية لأديرة شيهيت كالآتي: سيد الجارين(دير البراموس)، لبيض أي دير القديس (الأنبا بيشوي) أي الدير الأبيض، حيث وجدت نسخة من الكتاب المقدس في مكتبة ليندسي Lindsay يوجد هامش مؤرخ في عام ١٥١٤م، يوصف فيه الدير بالدير الأبيض بوادي النطرون، أما دير سوريان أي (دير السريان)، ودير بومكار أي دير القديس (الأنبا مقار) . ومن الطريف أن مينوتولي يصرح أنه لم يدخل أي دير منها[١].

لورد برودو ١٨٢٨م

هو ألجيرنون بيرسي، الدوق الرابع لنورثمبرلاند، واشتهر آنذاك بـ(لورد برودو Prudhue)، وُلد في ١٥ ديسمبر ١٧٩٢م، تلقى تعليمه في إتون وكلية سانت جون، كامبريدج، دخل البحرية الملكية في مارس ١٨٠٥، وكان يبلغ من العمر نحو ثلاثة عشر عامًا، شارك في الحروب النابليونية، في عام ١٨١٥م تم ترقيته إلى نقيب، وفي عام ١٨١٧م أصبح أميرال في البحرية الملكية أي قائدًا للبحرية الملكية، بين عام (١٨٢٦-١٨٢٩م) قام بالعديد من الرحلات الاستكشافية إلى مصر والنوبة والشام ورأس الرجاء الصالح، وهومستكشف وسياسى بارع[٢]، وهو الذي اقترح على «أدوارد وليم لين» Edward William Lane وذلك من أجل جمع مواد لتصنيف معجم عربي إنجليزي[٣]. ومات في ١٢ فبراير ١٨٦٥م.

وزار لورد برودو أديرة وادي النطرون في عام ١٨٢٨م[٤]، ولم يترك لنا أي تسجيل عن اختباراته في برية شيهيت، فيما عدا مذكرة موجهة إلى كورتون، تناول تقريبًا بصفة محدودة بقايا مكتبات الأديرة التي رآها. والحقيقة الوحيدة ذات الفائدة العامة التي لاحظها هي أن دير البراموس كان به آنذاك «نحو اثنى عشر راهبًا»[٥].

---

(١) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص١٨١،١٧٦.

(2) http://venn.lib.cam.ac.uk/cgi-bin/search-2016.

(3) https://de.wikipedia.org/wiki/Edward_William_Lane.

(٤) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٣.

(٥) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص١٧٦.

روبرت كورزون١٨٣٧م

زار روبرت كورزن وادي النطرون في عام ١٨٣٧م[١]، وسجل لنا وصفًا دقيقًا لبرية شيهيت وبدأ رحلته من مدينة القاهرة عن طريق الطرانة إلى دير البراموس الذي أشار إلى حالته السيئة، حيث لا يوجد بها إلا ثلاثة رهبان معتلي الصحة، وتوجد كنيسة كبيرة، بها مصابيح عديدة جذابة مصنوعة من زجاج قديم مثل ذلك الذي يوجد في مسجد السلطان حسن في القاهرة، وأنها في شكل فازات كبيرة مفتوحة، مزينة بجمل تقوية بالعربية باللون الأزرق على أرضه بيضاء، وتقع المكتبة في القصر (الحصن) في غرفة كبيرة بنوافذ مفتوحة بدون زجاج. ومضى بعد ذلك كورزن من البراموس إلى دير السريان، ومن هناك إلى ديري الأنبا بيشوي والأنبا مقار (مقاريوس) وكل منهما كان في حالة سيئة جدًّا، ويسكنهما على ما يظهر ثلاثة رهبان أو أربعة، وليس فيهما على حد وصفه ما يستحق الاهتمام، كما رأى خرائب كثيرة وأكوام حجارة تقريبًا مستوية بالأرض وهي بقايا نحو خمسين ديرًا، كانت ذات يوم مزدهرة في برية الأسقيط. وأشار إلى المخطوطات القبطية، والسريانية القيمة، ووصف الكنيسة الكبيرة بدير السريان، والمبنى زينه «موسى النصيبيني»[٢].

وهنا يجب أن نسجل حقيقة تاريخية أشار إليه روبرت كورزن، حيث تنبعث حقيقة مهمة ففي الركن الجنوبي الشرقي بدير السريان، وبالقرب من جدار السور، وُجد مبنى مسطح السقف تسكنه جالية من الرهبان الأحباش. وقد ذكر له أحد الرهبان الأقباط بالدير قائلًا: «أن الدير الذي كانوا يسكنوا فيه في هذه البرية قد تداعي، وهم الآن يعيشون هنا، وعددهم يتجدد أحيانًا من قبل الحجاج في طريقهم من أورشليم إلى الحبشة. فكون أن الأحباش كان لهم دير ذات مرة، وقد تداعى فهذه حقيقة ثابتة»، وعلينا أن نقبل ما تتضمنه هذه العبارة من أن الإخوة سكنوا في دير السريان منذ ذلك التاريخ[٣].

---

(١) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٣.

(٢) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص١٧٦-١٧٧.

(٣) نفسه: ص١٧٧.

بلات وهنري تاتام Henry Tanttam ١٨٣٨م

وزارت أديرة وادي النطرون عام ١٨٣٨م ميس بلات في صحبة زوج والدتها هنري تاتام[١]، وجذب انتباهها المخطوطات القديمة الي رأتها في مكتبات الأديرة ، وقد سنحت لها كونها امرأة فرصة كبيرة لتسجيل الملاحظات العامة. فقد لاحظت أنه في دير القديس الأنبا مقار (مقاريوس) إلى جانب الكنيسة الكبيرة والحصن والمباني الخدمية، وجدت مقصورة صغيرة يعتقد رهبان الدير أنها تعود إلى القرن الخامس الميلادي في نشأتها، كما أشارت إلى أنه خلف جدار الحديقة توجد بقايا مبانٍ ما زالت متصلة بالدير وهي تفترض أن هذا المكان كان قبلًا أكثر كثافة رهبانية، وأيضًا خرائب الأديرة حيث يرى الرحالة في أثناء عبوره مجموعة من التلال الفاصلة بين الوديان الصحراوية بقايا أديرة كثيرة قدر عددها نحو ٣٦٠ ديرًا، كانت تزين البرية ذات يوم، وقيل إنه من بين هذه الخرائب ما زالت خمسون قائمة، أما بالنسبة للأديرة الآخرى فلم يكن لديها ما تسجله فيما عدا عدد رهبان دير السريان الذي وصل لنحو ١٥ أو١٦ راهبًا، ومن الجدير بالذكر أن ميس لان تاتام زارت الأسقيط مرة آخرى من أجل شراء مكتبة دير السريان[٢].

جون جاردنر ويلكنسون John Gardner Wilkinson

جون جاردنر ويلكنسون ولد في ٥ أكتوبر١٧٩٧م، هو رحالة وكاتب وعالم مصريات إنجليزي رائد من رواد القرن التاسع عشر الميلادي، يعده الكثيرون أبًا لعلم المصريات في بريطانيا، وتوفي في ٢٩ أكتوبر ١٨٧٥م[٣]. وقد زار مصر أربع مرات كانت الأولى في أكتوبر١٨٢١م، وكان آنذاك في الرابعة والعشرين من عمره. وقد مكث في مصر في تلك الزيارة ١٢ عامًا متصلة، زار فيها كل الآثار في ربوع مصر، مُسجِّلًا النقوش والرسوم ومحتفظًا بها في سجلات دقيقة.عاد بعدها إلى إنجلترا لاعتلال صحته في سنة ١٨٣٣م، حيث انتُخب زميلًا

---

(١) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٣.

(٢) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص١٧٧-١٧٨.

(3) https://de.wikipedia.org/wiki/John_Gardner_Wilkinson.

بالجمعية الملكية في العام التالي، ثم بدأ في نشر أبحاثه في دوريات عديدة، ونشر كتابه «عادات وتقاليد قدماء المصريين» في طبعته الأولى (ثلاثة أجزاء) سنة ١٨٣٧م، ثم صدرت منه طبعات تالية أنجز أشكالها التوضيحية «جوزيف بونومي»[١]. وقد كان من أصداء نجاح هذا الكتاب حصول ويلكنسون على لقب «سير» سنة ١٨٣٩م، وتبوؤه مكانة مرموقة كأول عالم مصريات بريطاني بارز.

أما الزيارة الثانية لجون جاردنر ويلكنسون لمصر كانت عام ١٨٤٢م، وفي العام التالي لزياراته نشر مقالًا بعنوان «مسح لوادي بحيرات النطرون» في دورية الجمعية الجغرافية، ثم نشر في العام ذاته طبعة منقحة ومزيدة من كتابه « طبوغرافيا طيبة ونظرة عامة إلى مصر»، الذي كان قد صدر في طبعته الأولى سنة ١٨٣٥م. أما زيارته الثالثة فجاءت بعد زياراته إلى دالماشيا والجبل الأسود والبوسنة والهرسك سنة ١٨٤٤م، بعد أن نشر ملاحظاته عنها في سنة ١٨٤٨م، وعاد ويلكنسون إلى مصر ليقضي فيها الفترة ما بين عامي (١٨٤٨-١٨٤٩م) أي في الفترة الأخيرة لوالي مصر «محمد علي باشا» (١٨٠٥-١٨٤٨م)، وكانت زيارته الرابعة والأخيرة إلى جنوب مصر وبالتحديد في مدينة طيبة عام ١٨٥٥م، قبل أن يعود إلى إنجلترا ويستقر فيها دارسًا لآثار دوقية كورنوال وعلم الحيوان[٢].

على أية حال، زار جون جاردنر ويلكنسون وادي النطرون في عام ١٨٤٣م[٣]. وعلى الرغم من أن وصفه لبرية شيهيت غير وافٍ، فإنه يحتوي على بعض الخصوصيات المفيدة، التي لا نجدها عند رحالة آخر، فقد وصف مصنع الزجاج القديم بقرية زاكيك، وأديرة الوادي وعدد الرهبان، والخرابة التي وجدت في الأسقيط، كما تحدث عن قيمة المخطوطات التي رآها بدير الأنبا مقار، ووصفها بأنها بحالة جيدة، على الرغم من أن الأرضية كانت مغطاة بقصاصات بعضها من أوراق المخطوطات التي أهملت، وقد أشار إلى النباتات الطبيعية التي تنمو في وادي

(1) ttps://babel.hathitrust.org/cgi/pt?id=hvd.32044092624766;view=1up;seq=132.

(2) https://de.wikipedia.org/wiki/John_Gardner_Wilkinson.

(٣) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٣.

النطرون، مثل السمار وأعشاب البرك وكلاهما يستخدم في صناعة الحصير. وبلا شك لعبت هذه النباتات إلى جانب سعف النخيل دورًا كبيرًا في الصناعات الرهبانية القديمة. ولعلنا نتذكر الاعتداءات الصارخه للوزير المالي «أحمد بن المدبر» في القرن التاسع الميلادي، حيث **حيث أمر «أحمد بن المدبر» في القرن التاسع الميلادي «بتحصيل ضريبة على السمار الذي ينمو في البرك»»**[1].

فريدريك قسطنطين تشيندروف ١٨١٥-١٨٧٤م

وُلد عالم اللاهوت الألماني «فريدريك قسطنطين تشيندروف» Friedrich Constantin Tischendorf في ٨ يناير ١٨١٥م في مدينة لينجنفلد Lengenfeld التي تقع على نهر جولتش Göltzsch[2] وتمتد بطول نحو ٢٠ كيلومترًا، في الجنوب الغربي لمدينة تسفيكاو Zwickau، وتقع شمال مدينة بلاون Plauen[3]، ويبلغ عدد سكانها (٧٢٢٥) ألف نسمه طبقًا لتعداد ٢٠١٥م[4]،

---

(١) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص١٧٨-١٧٩.

(٢) يبلغ طول نهر جولتش نحو ٤٠ كيلومترًا، وهو أحد الروافد النهرية المهمة في مقاطعة فوجتلاند، ويرتفع في الجنوب بنحو ٧٠٠م، ويقل هذا الأرتفاع تدرجيًا كلما اتجهنا شمالًا، ويصب النهر في جنوب مقاطعة وتورينجيا، وعلى جانبيه تنمو الغابة الخضراء، وتوجد بعض المحميات الطبيعية، وأقيمت عليه العديد من الشلالات الصناعية، وبفضله أنشئت أقدم الطواحين الألمانية، وشُيد عليه أكبر جسر من الطوب في العالم للسكك الحديدية ليربط ما بين ولاية ساكسون وولاية بافاريا، وبدأ العمل في تشييده عام ١٨٤٦م، وافتتح في عام ١٨٥١م، لمزيد من التفصيل انظر:

Thüringer Landesanstalt für Umwelt (Hrsg.): Gebiets- und Gewässerkennzahlen Verzeichnis und Karte. Jena 1998; 26 S. ,Wilfried Rettig: Die Eisenbahnen im Vogtland – Band 1: Entwicklung, Hauptstrecken, Fahrzeuge, Bahnbetriebswerke und Hochbauten. EK-Verlag, Freiburg 2001, ISBN 3-88255-686-2, S. 7.

(3) Isis Verlag A G,der neue grosse Weltatlas,das aktuelle Kartenbild der neuen Weltordnung, Schweiz: Isis,1991,P15.

(4) Bevölkerung des Freistaates Sachsen, Statistisches Landesamt des Freistaates Sachsen, 31. Deze - ber 2015.

وهي تابعة لمقاطعة فوجتلاند Vogtland التي تقع في أقصى جنوب ولاية ساكسونيا Sachsen[١]، التي عاصمتها مدينة درســدن Dresden [٢].

وُلد تشيندروف لوالدين مسيحيين لوثريين مؤمنين، فربياه تربية مسيحية حقيقية، فوالدته هي السيدة «كريستيانا إليونورا توماس» Christiane Eleonore Thomas (٤ يونيو ١٧٧٧ – ٢٦ يناير١٨٣٦م) [٣] التي ترجع جذورها لجماعة موقدى الفحم، ووالده طبيب المحكمة، «يوهان كريستيان تشيندروف» Dr. med. Johann Christlieb Tischendorf،[٤] (أول يناير١٧٧٢ –١٩ نوفمبر١٨٣٥م)[٥]، الذي يرجع مسقط رأسه إلى مدينة «جريز» Greiz التابعة لولاية تورينجيا Thüringen، وكانت عائلته تشتهر بصناعة الورق[٦]، وقد أنجبت «كريستيانا» من زوجها ثمانية أولاد، تُوفي ستة منهم في حياته[٧]، وبقي تشيندروف هو وشقيقه «يوليوس» Julius (٣مارس١٨٠٥ – ٢٥ سبتمبر١٨٥١م) [٨] وكان أكبر منه بنحو عشرة سنوات[٩].

---

(١) جمهورية ألمانيا الاتحادية تتكون من ست عشرة ولاية وهي: بادن فورتمبيرج، والبايرن(بافاريا)، وبرلين، وبراندنبورج، وبريمن، وهامبورج، وهسن، ومكلنبورج- فوربومرن، وساكسونيا السفلى، وشمال الراين وستفاليا، وراينلاند- وبفالز، سارلاند، ساكسونيا، وساكسونيا-آنهالت، وشلسفيغ هولشتاين، وتورينجيا لمزيد من التفصيل انظر:

Isis Verlag A G,der neue grosse Weltatlas,das aktuelle Kartenbild der neuen Weltordnung, Schweiz: Isis,1991,P12.

(٢) طبقًا لإحصاء عام ٢٠١٣م، الصادر عن الاتحاد الألماني في ٣١ ديسمبر ٢٠١٣م.

(3) Familiengeschichte von Holger Hartman, http://gw.geneanet.org/hoha?n=thomas&oc=0&p = christiana+eleonora

(4) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, G - meindenetzwerk - http://www.gemeindenetzwerk.de.

(5) Familiengeschichte von Holger Hartmann, http://gw.geneanet.org/hoha?lang=de&p= johann+chri stlieb&n=tischendorf.

(٦) جيمس بنتلي: المرجع السابق، ص ٢٣.

(7) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, G - meindenetzwerk - http://www.gemeindenetzwerk.de.

(8) Familiengeschichte von Holger Hartmann, http://gw.geneanet.org/hoha?n=tischendorf&oc =0&p=julius+valentin.

(٩) جيمس بنتلي: المرجع السابق، ص ٢٣.

على أية حال، بعد أن بلغ تشيندروف ثلاث سنوات من عمره التحق بكتاب الكنيسة وهو في الثالثة من عمره فتعلم بعض المبادئ الروحية والاجتماعية، وفي سن السادسة التحق بمدرسة لينجنفلد وقد تلقى بها تعليمه الأولى (الابتدائي)[١]، وفي ذات الفترة كان شديد الولع بوالدته التي وافاها الأجل في ٢٦ يناير ١٨٣٦م، عن عمر يناهز ٥٨ عامًا، وإذا كان «تشيندروف» قد ورث العاطفة المرهفة عن والدته، فقد ورث الذكاء عن والده الذي كان يعمل طبيبًا، وقد أرسل ابنه لدراسة اللاتينية واليونانية في مدرسة خاصة في «بلاون» (Plauen) وهي أكبر مدينة في المنطقة[٢]. وفي ذات المدينة التحق بالمدرسة الثانوية (١٨٢٩-١٨٣٤م)[٣]، وفي عام (١٨٣٤-١٨٣٨م) التحق بكلية اللاهوت لدراسة اللاهوت والفلسفة بجامعة لايبزيج Universität Leipzig[٤]، وكان هو أصغر تلاميذها سنًّا، ويناقش أساتذته في موضوع الكتاب المقدس، وترك الجامعة لفترة وجيزة لوفاة والده المبكرة للعمل من أجل الإنفاق على نفسه[٥].

وهنا لا بد أن نؤكد على أن فريدريك تشيندروف خلال عامي (١٨٣٩-١٨٤٠م) بدأ عمله في البحث في المخطوطات القديمة لنصوص للكتاب المقدس، ومن أجل ذلك سافر إلى المكتبات في جنوب ألمانيا، وسويسرا، ومكتبة ستراسبورج Strasbourg في جنوب فرنسا، ونتيجة لهذه الجولة الدراسية، نشر العهد الجديد باللغة اليونانية، وفقا لمبادئ منهجية جديدة[٦]، وحصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت عام ١٨٤٠م في كلية اللاهوت في جامعة لايبزيج الألمانية [٧]، وتم تعيينه محاضرًا في ذات الجامعة [٨].

---

(1) Konstantin von Tischendorf, https://de.wikipedia.org/wiki/

(٢) جيمس بنتلي: المرجع السابق، ص ٢٣.

(3) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, G - meindenetzwerk - http://www.gemeindenetzwerk.de.

(4) http://research.uni-leipzig.de/catalogus-professorum-lipsiensium/leipzig/ Tischendorf _ 1020/

(٥) جيمس بنتلي: المرجع السسابق، ص ٢٣-٢٤.

(6) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, G - meindenetzwerk - http://www.gemeindenetzwerk.de.

(7) http://research.uni-leipzig.de/catalogus-professorum-lipsiensium/leipzig/ Tischendorf _ 1020/

(8) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, G - meindenetzwerk - http://www.gemeindenetzwerk.de.

وواصل أبحاثه في المخطوطات القديمة للعهد الجديد، ومن أجل ذلك قام بالعديد من الرحلات الدراسية إلى عدة دول منها فرنسا وبريطانيا وإيطاليا [١] وبلاد الشرق الأوسط، وفي عام ١٨٤٥م أصبح أستاذًا مشاركًا، ولكثرة إنتاجه العلمي نال درجة الأستاذية في عام ١٨٥١م، وبعد ثماني سنوات أي في عام ١٨٥٩م أصبح أستاذ كرسي اللاهوت وعلم الكتابات القديمة في الكتاب المقدس بجامعة لايبزيج Leipzig Universität، باعتبارها واحدة من أهم المستكشفين في تاريخ نصوص الكتاب المقدس[٢]، فقد اكتشف المخطوطة السينائية بعد قيامه بثلاث رحلات لدير سانت كاترين انتهت في عام ١٨٥٩م وقام بنشرها عام ١٨٦٢م [٣]، وظل يمارس عمله بالجامعة حتى رحيله في ١٨٧٤م [٤].

ولمكانة تشيندروف» العلمية كرمته العديد من المؤسسات لإنجازاته، فحصل على العديد من الجوائز، والميداليات، والأوسمة، من مختلف الجامعات حيث منحته جامعة بريسلاو Universität Breslau[٥] وجامعة أوكسفورد، وجامعة كمبردج الدكتوراه الفخرية في عام ١٨٤٣م، لنشره العهد الجديد باللغة اليونانية، وفقا لمبادئ منهجية جديدة، كما أنه رفع إلى درجة النبلاء، في جامعة لايبزيج في ولاية ساكسونيا، [٦]. كما حصل على الميدلية الذهبية عام ١٨٣٦م من كلية اللاهوت «دوكترينا باولي أبوستولي.....» [٧] « „Doctrina Pauli Apostoli.

---

(1) Hans Ernst;op.cit , 17-18.

(2) http://research.uni-leipzig.de/catalogus-professorum-lipsiensium/leipzig/ Tischendorf _ 1020/.

(3) Hans Ernst;op.cit ,p18.

(4) Familiengeschichte von Holger Hartman, http://gw.geneanet.org/hoha?n=von+ tischendorf &oc =0&p=lobegott+friedrich+constantin.

(٥) جامعة بريسلا: تقع في مدينة فروتسواف في بولندا، نشأت في عام ١٧٠٢م، وتعتبر إحدى أقدم مؤسسات التعليم العالي ذات المستوى الجامعي في أوروبا الوسطى، وصل عدد طلابها ٣٠ ألف طالب في عام ٢٠١٢م، وبقيت طوال تاريخها منارة للتعليم للدول الناطقة باللغة الألمانية، على الرغم من التغيرات التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) لمزيد من التفصيل انظر:
http://uni.wroc.pl/o-nas/historia-i-misja-uczelni

(6) Hans Ernst; op.cit,pp 17-18.

(7) https://bibelausstellung.eduxx-irs.de/home/navi1051_1894_lebensverlauf-tischendorfs-und-seine-veroeffentlichungen

وفي ٧ مايو١٨٦٩م كرمه القيصر الروسي «ألكسندر الثاني نيكولايفيتش رومانوف» (٢٩ أبريل ١٨١٨ – ١٣ مارس ١٨٨١م)، فمنحه جائزة نبيل روسيا وهو لقب يشبه لقب» فارس» الذي يمنح في بريطانيا [١]، وللدور المتميز الذي قام به تشيندروف في رفع مكانة جامعته بين جامعات العالم، قررت جامعة لايبزيج في عام ١٨٥٩م منحه درجة الأستاذية كأستاذ لعلم اللاهوت وعلم الكتابات القديمة في الكتاب المقدس، بمرسوم على غير العادة لاكتشافاته وأبحاثه في مجال دراسات الكتاب المقدس، وكان من مستمعيه الفيلسوف فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche (١٨٤٤–١٩٠٠م) خلال إقامته في لايبزيج[٢]وعن حياته الاجتماعية فتشيندروف متزوج من أنجيليكا زيم Angelika Zehme (١٨٢٢–١٩٠٥م)[٣]، وقد أنجبت له ثمانية أطفال [٤].

على أية حال، ظل فريدريك تشيندروف يقدم أبحاثه في مجال دراسات الكتاب المقدس[٥]، على الرغم من تعرضه لوعكة صحية في ١٥ مايو ١٨٧٣م[٦] ولم يطرأ تحسن ملحوظ على صحته. وبعد مرور عام أصيب بعدة جلطات. وفي ٧ ديسمبر١٨٧٤م رحل عن عالمنا الفاني ودفن في ١٠ ديسمبر ١٨٧٤م بـ «مقبرة يـتوهان» Johannis friedhof في مدينة لايبزيج الألمانية [٧].

وهنا يجب علينا أن نشير إلى رحلات تشيندروف ما بين (١٨٤٤–١٨٥٩م) إلى مصر وهي ثلاث رحلات على فترات متقطعة متنقلًا ما بين القاهرة ووادي النطرون وسيناء، الرحلة

---

(١)جيمس بنتلي: المرجع السابق، ص ٢٣.

(2) Hans Ernst; op.cit,pp 17-18.

(3) https://portal.dnb.de/opac.htm?method=simpleSearch&cqlMode=true&query=idn%3D122739159

(4) Familiengeschichte von Holger Hartman, http://gw.geneanet.org/hoha?n=von+ tischendorf &oc =0&p=lobegott+friedrich+constantin

(5) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, G - meindenetzwerk - http://www.gemeindenetzwerk.de.

(٦) نفسه: ص ٩٨.

(7) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, G - meindenetzwerk –

الأولى كانت عام ١٨٤٤م زار خلالها وادي النطرون، ودير سانت كاترين[١]، واكتشف في إحدى الغرف ثلاثًا وأربعين ورقة مخطوطة، وصفها قائلًا: «بأنها جوهرة أبحاثى» [٢]. وفي يناير ١٨٤٥م عاد تشيندروف إلى جامعة لايبزج الألمانية، ويبدو أنه قبل عودته فتش خلال ذات الرحلة في منطقة الأديرة القبطية المنتشرة بالصحراء الليبية (الغربية) أى أديرة وادي النطرون[٣].

في عام ١٨٥٢م أبحر تشيندروف مرة ثانية متوجهًا إلى بلاد الشرق، في هذه الرحلة الثانية لدير سانت كاترين بسيناء[٤] ولكنه عاد إلى ألمانيا هذه المرة فارغ اليدين. وحول هذا الموضوع كتب يقول: «كل الذي استطعت العثور عليه هو شذرة صغيرة لمخطوطة من نفس مجموعة المخطوطات، مستخدمة كما يبدو كمؤشر وظهر على جانبيها أحد عشر سطرًا من الكتاب المقدس العهد القديم من سفر التكوين»[٥].

---

(1) Ernst; Hans, op cit.pp 17-18.

(٢) جيمس بنتلي: المرجع السابق، ص٧٨-٨٠، انظر ملحق رقم ٤.

(3) http://gw.geneanet.org/hoha?n=von+tischendorf&oc=0&p=lobegott+friedrich+constantin.

(٤) لمزيد من التفصيل عن الرسائل الغرامية ما بين لوبيجوت فريدريك قسطنطين تشيندروف وزوجته أنجيليكا انظر:

Hildegard Behrend,Auf der Suche nach Schätzen : aus dem Leben Constantin von Tischendorfs, Berlin : Evang. Verl.-Anst., 1970.

(٥) مدينة القدس: هذه المدينة اتخذت عدة أسماء منها (يبوس) واليبوسيون هم بناة القدس الأولون، وقد يرد اسمها (أورشليم) وتعني بالعبرية (أساس السلام)، أو (ملك السلام)، وقيل: إن إبراهيم الخليل سماها (مدينة السلام)، حيث إن كلمة (أور) بالكلدانية تعني «مدينة» وهي التي هاجر منها إبراهيم عليه السلام نحو سنة ١٩٢١ ق.م، وفي ألواح تل العمارنة الفخارية التي عثر عليها في سنة ١٨٨٧م بمصر، ورد اسمها أوروساليمو(urrsalmu)، وقد كانوا يبغضون أمير هذه المدينة ويكيلون له اللعنات، وقد يرد اسمها محذوفًا منه المقطع الأول- وهو(أور) بمعنى مدينة، فيقال إنها مدينة (شاليم)- أو (ساليم)، ومن ملوكها (ملكي صادق)، وهو أول من اختطها وبناها، كما أطلق عليها أورشليم و(أريئيل)، وأريئيل معناها (موقد الله) ، تنور الله أو نار الله، ومن ثم سميت أورشليم (مدينة الله)، مدينة الرب كما سميت "مدينة القدس" ثم "المدينة المقدسةوكذلك سميت (مدينة العدل)، ثم مدينة الحق انظر: ماجد عزت إسرائيل، الأرمن في القدس عبر التاريخ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠١٥، ص ١٨-١٩.

على أية حال،بدأ تشيندروف إجراء الترتيبات اللازمة لزيارته الأخيرة لدير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء في عام ١٨٥٩م[١]، وحال وصوله إلى الدير قبل نهاية شهر يناير ١٨٥٩م، كرس كل وقته للاطلاع على المخطوطات المحفوظة في الدير[٢]. وفي مساء ذلك يوم وجد ضالته المنشودة، عبارة عن الصفحات الست وثمانين من المخطوطة التي شاهدها عام ١٨٤٤م[٣]، وكان مجموع الصفحات التي بين يديه ٣٤٦ (ثلثمائة وستة وأربعين صفحة) وجد أنها بالحجم نفسه ومكتوبه بالخط نفسه[٤].

وقد كتب تعهدًا على نفسه في ٢٨ سبتمبر ١٨٥٩م، تم اكتشافه عام ١٩٦٠م حيث كتب قائلًا: « أنا الموقع أدناه «فريدريك قسطنطين تشيندروف» المبعوث بأمر من قيصر روسيا «ألكسندر الثاني نيكولايفيتش رومانوف»(٢٩ أبريل ١٨١٨ – ١٣ مارس ١٨٨١م)[٥] إلى

---

(1) ( ) Hans Ernst;op.cit ,p p 17-18.

(2) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, G - meindenetzwerk - http://www.gemeindenetzwerk.de. http://gw.geneanet.org/hoha?n=von+tischend orf&oc=0&p=lobegott+friedrich+constantin

(3) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, G - meindenetzwerk - http://www.gemeindenetzwerk.de. http://gw.geneanet.org/hoha?n=von+tischend orf&oc=0&p=lobegott+friedrich+constantin

انظر ملحق رقم ٥.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر: ملحق رقم ٥،٦،٧.

(٥) ألكسندر الثاني نيكولايفيتش رومانوف: وُلد ألكسندر الثاني في عام ١٨١٨، وكان ابن القيصر نيكولاي الأول بن القيصر بافل الأول وألكساندرا فيودوروفنا وحفيد القيصر بيتر الثالث بن الإمبراطورة آنا إيفانوفنا بنت القيصر إيفان الخامس والإمبراطورة كاثرين العظيمة وعمه القيصر ألكسندر الأول وجد القيصر نيكولاي الثاني، تولى قيصر وإمبراطور روسيا السادس عشر منذ (٢٢ مارس ١٨٥٥ حتى وفاته في ١٣ مارس١٨٨١م)، وكان أيضًا دوق فنلندا الكبير. من أبرز ما قام به هو تحرير العبيد في روسيا في العام ١٨٦١، لذا يطلق عليه لقب «القيصر المحرر»، وشهدت فترة حكمه الكثير من الإصلاحات بالنسبة لتاريخ روسيا، انظر:

https://de.wikipedia.org/wiki/Alexander_II._(Russland)

لمزيد من التفصيل انظر: ملحق رقم ٦ ،٧.

الشرق، أشهد بأن الجمعية المقدسة في دير القديسة كاترين، قد سلمتني بناء على الرسالة التي تسلمتها من الأمير «لوبونوف» مخطوطة قديمة للعهدين القديم والجديد وذلك على شكل إعارة. وأشهد أن المخطوطة المؤلفة من ثلثمائة وست وأربعين صفحة وشذرات صغيرة هي من ممتلكات الدير المذكور. وسأقوم بنقل المخطوطة إلى سانت بطرسبورج لأجل مقارنتها مع النسخة المنقولة التي تمت طباعتها. لقد عهدت لى هذه المخطوطة بموجب الشروط المدونة في رسالة الأمير «لوبونوف»المؤرخة في العاشر من سبتمبر ١٨٥٩م وتحمل رقم ٥١٠، وإني أتعهد بإعادة المخطوطة إلى الجمعية المقدسة في جبل سيناء بهيئة جيدة عند طلبهم». وغادر تشيندروف القاهرة حاملًا معه المخطوطة السينائية التي تضم ٣٤٦ ورقة، ولم يشاهدها رهبان دير القديسة كاترين مرة ثانية، وعاد إلى أوروبا مكللًا بالنصر، وطبع نحو ١٢٣٢ نسخة من المخطوطة **وقام بنشرها في أكتوبر ١٨٦٢م**[١].

وقد ترك لنا فريدريك تشيندروف وصيته حيث ذكر قائلًا: « لقد كان الهدف الذي وضعته نصب عيني هو التوصل إلى الحقيقة التي طالما انحنيت لها .... ولم أحاول أن أُكوِّن رأيًا على أصوات التصفيق والمديح الذي أحاطنى لفترة طويلة من عمري، وكان والدي قد أخبرني مرة بضرورة الكفاح من أجل الوصول إلى الحقيقة التي أعتبرها أهم من المعرفة، ولخص إنجازاته حيث كتب قائلًا: «إن العناية الإلهية قد منحتنا الكتاب المقدس السينائي ليكون بمثابة الضوء الذي يقود الإنسان إلى ما ستكون عليه الكلمات الحقيقية للرب يسوع في هذا الزمن الذي تكثر فيه الهجمات على المسيحية. وسيساعد هذا الكتاب في الدفاع عن الحقيقة وذلك بتحقيقه النموذج الأصلي».

أما رحلة قسطنطين تشيندروف إلى وادي النطرون فكانت في أثناء رحلته الأولى لمصرعام ١٨٤٤م [٢]، ويعد آخر شهودنا عن حالة الأديرة في خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وقد

---

(١) جيمس بنتلي: المرجع السابق، ص٩٠-٩٢

(٢) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٣.

وصل إلى وادي النطرون عن طريق الطرانة عام ١٨٤٤م. وقدم لنا تشيندروف وصفًا لنمط الحياة الرهبانية،[١] بالإضافة إلى الأديرة المنتشرة في الأسقيط، والخرائب وأكوام الحجارة المتناثرة بأعداد كبيرة في سائر أنحاء البرية، كما أشار إلى تشييد العديد من القلالي والمنشوبيات التي حلت محل بعض الخرائب، وتناول طعام الرهبان اليومي، والقداس الإلهي، والأيقونات وخاصة التي وجدها بدير السريان، ولم يخبرنا عن دير البراموس بشيء، سوى أن به نحو عشرين راهبًا، وأنه أظلم وأضيق قلالي برية شيهيت[٢].

جولين Fr.Jullien

زار الأب جولين Fr.Jullien في عام ١٨٨١م برية شيهيت، وهو أول من لاحظ النقوش بالجبس القديم بكنيسة دير السريان، وفي المساء صحبه القمص «ميخائيل السرياني» رئيس الدير إلى دير القديس الأنبا بيشوي[٣].

ألفريد جاشوا بتلر Alfred Joshua Butler

تلقى ألفريد جاشوا بتلر (١٨٥٠-١٩٣٦م) تعليمه الجامعي في جامعة أكسفورد، وواصل دراسته العليا ملتحقا بالعمل كعضو هيئة تدريس بكلية براسنوز Brasenose College، وفي عام ١٨٧٧م حصل على درجة الدكتوراه ١٩٠٢م، وفي يناير من عام ١٨٨٠م استدعاه الخديوي محمد توفيق والي مصر (١٨٧٩-١٨٩٢م) ليتولى تعليم أبنائه فمكث في هذه الوظيفة حتى فبراير ١٨٨١م، وخلال الشهور التي قضاها في مصر انكب على دراسة التاريخ والآثار القبطية والإسلامية، وشهد مقدمات الثورة العرابية(١٨٨١م). ثم عاد إلى مصر زائرًا وباحثًا عام ١٨٨٤م، وعقب عودته لإنجلترا وضع كتاب «الكنائس القبطية القديمة في مصر» The Ancient Coptic Churches of Egypt (في جزأين) صدر عام ١٨٨٤م، كما

---

(١) سوف نتحدث بإسهاب عند الحديث عن الحياة الرهبانية داخل أديرة وادي النطرون.

(٢) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص١٧٩-١٨٠. انظر الشكل رقم ١٦، ٢٢.

(3) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=.

ألف بتلر أيضًا كتاب «فتح العرب لمصر» The Arab Conquest of Egypt الذي نشر عام ١٩٠٢م[١]. وترك لنا خريطة تخطيطية لدير الأنبا مقار ببرية شيهيت[٢].

وخلال زياراته الثانية لمصر في عام ١٨٨٤م، زار بتلر أديرة وادي النطرون في شتاء ١٨٨٤م، وكان بصحبته، يوسف سترزجوسكي أول من درس أعمال الجص على حوائط كنيسة العذراء السريان وكتب كتابًا عن ذلك كان جذب إليه الكثيرين من طلاب العالم لدراسة هذه الفنون القبطية، وكان نتيجة لذلك زادت زيارات الرحالة لدير السريان[٣].

أجنيس سميث لويس وأختها مرجريت دانلوب ١٩٠٤م

زارت كل من السيدة أجنيس Agnes سميث لويس وأختها مرجريت دانلوب أديرة وادي النطرون عام ١٩٠٤م، إذ سافرا بالجمل من القاهرة إلى برية شيهيت، واكتشفتا بدير السريان بطريقة المصادفة في صندوقين قديمين مخطوطتين قبطتين للعهد الجديد يرجع تاريخهما إلى عام ١٢٢٠م، و١٢٥٦م، كما علما أنه كان يوجد متوحد بمغارة بعيدة عن دير السريان سكنها لمدة ١٢ عامًا ثم عاد للدير بشيخوخته، وكان يعيش على كِسرة خبز وقليل من الماء يوميًّا[٤].

هيوج – إيفيلين هوايت ١٩٢٠م

وهيوج – إيفيلين هوايت Evelyn White هو مؤرخ ورحالة غربي بريطاني شارك في بعثة متحف المتروبوليتان إلى مصر في الفترة ما بين (١٩٠٩ – ١٩١٥م) ثم التحق بالجيش البريطاني، ثم ترك هذا المنصب بلا رجعة لظروفه الصحية، وبذلك كان تدبير الله أن يعود إلى مصر (١٩١٩– ١٩٢٠م) وقام برحلة إلى وادي النطرون في ربيع عام ١٩٢٠م [٥] وترك لنا

---

(1) https://www.abjjad.com/author//books.

(٢) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص١٧٩–١٨٠. انظر الشكل رقم ١٦، ٢٢.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر: الشكل رقم ١٩.

(4) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=.

(5) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=.

صورًا قيمة لدير الأنبا مقار[1]، وقضى بعض الوقت مع رهبان أديرته، وأعد دراسة قبل انتحاره عام ١٩٢٤م[2]. بعنوان «تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية مع دراسة للمعالم الأثرية والمعمارية إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي» ونشر هذا المؤلف في ثلاثة مجلدات:

الأول: يشتمل على الوثائق التي عثر عليها في مكتبة دير الأنبا مقار.

الثاني: يشتمل بحثا تاريخيًّا لرهبنة نتريا والقلالي وشيهيت.

الثالث: يشمل المعمار الخاص بوادي النطرون[3].

أوديون Odion ١٩١٦م

يعتبر أوديون Odion من أهم الرحالة في أوائل القرن العشرين من الذين زاروا وادي النطرون، وقد حصلنا على مذكراته من مكتبة كلية سوليهل Selihel جامعة برمنجهام Prmingham عن معرض الصور الفوتوغرافية التي تحمل هذه المذكرات سنة ١٩٩٩م، ويجري الآن ترجمتها وإعدادها للنشر.

زار أوديون وادي النطرون في مايو ١٩١٦م، وأعطى وصفًا مسهبًا في مذكراته عن الأحوال الطبيعية والجغرافية والاقتصادية والدينية، وكذلك عن القرى التابعة للوادي، وعلل أسباب تدهور دير البراموس بتبعيته لأبراشية الإسكندرية حيث جرد من ميزانيته فأهملت مبانيه وأيقوناته وقل عدد رهبانه حتى كاد يتعرض للخراب لولا العناية الإلهية[4].

دكتور فبراري ١٩٢٣م February

زار دكتور فبراري أديرة وادي النطرون في عام ١٩٢٣م، وسجل لنا عدد رهبان دير السريان، وكان به في ذلك الوقت نحو ١٦ راهبًا.

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: الشكل رقم ١٩.

(٢) جريدة الأهرام: عدد رقم ١٤٤٧٥، بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٢٤م.

(٣) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٢-١٧٦.

(4) Odion: Notes about wadi El Natrun factuality of soilhaull Birmingham university , England, 1999.

الأمير عمر طوسون ١٩٣١م

هو الأمير محمد عمر طوسون ابن الأمير محمد طوسون باشا ابن والي مصر محمد سعيد باشا ابن محمد علي باشا رأس الدولة العلوية. والدته الأميرة بهشت حور، وجدته لأبيه الأميرة ملك بير، وُلد في مدينة الإسكندرية في٨ سبتمبر١٨٧٢م، وعاش فيها إلى جانب القاهرة[١]. توفي والده وهو في سن الرابعة، فربته جدته لأبيه وأشرفت على تعليمه، وواصل دراسته في سويسرا، تعلم خلالها العديد من اللغات فبالاضافة إلى اللغة العربية والتركية، تعلم الفرنسية والإنجليزية وبعد تخرجه زار العديد من المدن الأوروبية. وفي سن السادسة والعشرين تزوج من الأميرة بهيجة حسن، حفيدة الخديوي إسماعيل، وأنجبت له سعيد وحسن وأمينة وعصمت[٢].

والأمير عمر طوسون هو أحد أشهر أمراء أسرة محمد علي باشا الذي اشتهر بتفوقه وثقافته وحبه للقراءة والتأليف وأيضًا في العديد من المجالات منها رعايته للكثير من المحافل العلمية وأعماله الخيرية من بناء المستشفيات والمدارس، كما ساهم في بناء استاد الإسكندرية وتشييد نادى سبورتنج، وكان يرأس مجلس إدارته منذ أوائل القرن حتى وفاته في٢ يناير١٩٤٤م[٣]، وكان الأمير من الأعضاء المؤسسين بنادى روتاري الإسكندرية، والهلال الأحمر المصري، والكشافة، وجمعية الإسعاف في المحافظة، بالإضافة إلى كونه رئيسًا دائمًا لنادى الفروسية، ونادي سبورتنج، وكان رئيسًا للجنة الأوليمبية المصرية، والاتحاد المصري للأندية الرياضية بالإضافة إلى دعمه الجمعيات الخيرية نذكر منها على سبيل المثال جمعية فقراء الإسكندرية، في محرم بك، والجمرك، وجمعية معدومي المأوى، وجمعية الأقباط الكاثوليكية، وجمعية الإحسان النوبية، ومستشفى الطائفة الإسرائيلية وملجأ الأيتام اليوناني[٤].

---

(1) https://ar.wikipedia.org/wiki.

(٢) جريدة المصري اليوم: مقال بعنوان «الأمير عمر طوسون.. ابن البلد»، بتاريخ ٢ فبراير ٢٠١٨م.

(3) https://ar.wikipedia.org/wiki.

(٤) جريدة المصري اليوم: مقال بعنوان «الأمير عمر طوسون.. ابن البلد»، بتاريخ ٢ فبراير ٢٠١٨م.

كما لا ينكر أحد اكتشافاته وكتاباته في الجغرافيا والتاريخ والآثار وغيرها وله العديد من الكتب والخرائط بالعربية والفرنسية، وكان أول من اقترح إرسال وفد من مصر إلى مؤتمر فرساي للمطالبة باستقلالها عام ١٩١٩م. وقبل وفاته كتب وصية عام ١٩٣٣م، أوصى فيها بالتبرع بمكتبته، التي حوت أكثر من ٨ آلاف كتاب في الدراسات التاريخية والأثرية للمتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية، بالإضافة إلى ما اكتشفه من آثار، وترك لنا العديد من المؤلفات نذكر منها الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي باشا عام ١٩٢٣م، الصنائع والمدارس الحربية والبعثات العلمية والجيش المصري البري والبحري ١٩٢٥م، الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٥م)، طبع عام ١٩٣٦م. مصر والسودان ١٩٢٧م[١].

وقد زار الأمير عمر طوسون وادي النطرون في عام ١٩٣١م[٢]، واكتشف العديد من الأديرة التي تعرضت للاندثار في برية شيهيت مثل دير الأنبا زكريا، والأرمن والأنبا يحنس كاما، ويوحنا القصير والأحباش، وإلياس، ووضع العديد من العلامات الإرشادية التي تؤكد على قيمة هذه الاكتشافات[٣]، ومعظم الأديرة التي اكتشفها الأمير باركتها العائلة المقدسة عند زيارته لمصر، وبلغ عددها نحو ٥٢ ديرًا. وسجل لنا كل ما اكتشفه في برية شيهيت في كتابه» وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة ومذيل بتاريخ الأديرة الخربة» ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر لدراسة تاريخ أديرة وادي النطرون[٤].

أوتو فريدريش أغسطس ميناردوس

وُلد أوتو فريدريش أغسطس ميناردوس Otto Friedrich August Meinardus في ٢٩ سبتمبر ١٩٢٥م في مدينة هامبورج الألمانية، حيث تلقى تعليمه الثانوي. درس اللاهوت وعلم الاجتماع في كلية الآداب قسم الفلسفة بجامعة هامبورج، حيث تخرج في عام١٩٤٧م،

---

(1) https://ar.wikipedia.org/wiki.

(٢) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٣-٩٤.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر: الشكل رقم ١٥.

(٤) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٧٩.

ثم سافر لإنجلترا لاستكمال دراسته في الفترة من (١٩٤٧-١٩٤٩م.) حيث درس بكلية ريتشموند Richmond College، وبعد ذلك ذهب للولايات المتحدة الأمريكية ودرس في العديد من الجامعات منها سانت لويس، وشيكاغو، وهارفارد، وبوسطن، وفي عام ١٩٥٥م حصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت، وفي الفترة من (١٩٥٢- ١٩٥٦م) كان راعي في الكنيسة التجمعية الثانية في بيابودي Peabody، بولاية ماساتشوستس Massachusett[1].

وخلال الفترة من ١٩٥٦ - ١٩٦٨ م جاء إلى القاهرة،من أجل الدراسة، حيث درس الفن الشرقي للكنيسة القبطية والآثار المسيحية المبكرة، وفي عام ١٩٥٧م أصبح عضوا في جمعية علم الآثار Société d'Archéologie، وفي عام ١٩٥٩م تم تعيينه من قبل معهد الدراسات القبطية أستاذًا زائرًا بالمعهد، وكان صديقًا لقداسة البابا «شنودة الثالث» البطريرك رقم (١١٧) (١٩٧١-٢٠١٢م). كما عمل قسيسا بين عام (١٩٥٧-١٩٦٨م) في كنيسة المعادي المجتمعية بالقاهرة. وفي عام ١٩٦٤م أصبح عضوا في المعهد الأثري الألماني في القاهرة، كما عمل أستاذًا في اللاهوت في الجامعة الأمريكية. وبين عام (١٩٦٨ - ١٩٧٥م) كان يعيش في العاصمة اليونانية أثينا، حيث عمل أيضًا قسيسًا في كنيسة القديس أندرو الأمريكية، بالإضافة إلى التدريس في المدرسة الأمريكية للدراسات الكلاسيكية في أثينا. وبعد عودته إلى ألمانيا في عام ١٩٧٥م، كان قسًا في الكنيسة البروتستانتية في راينلاند في كوبلنز وستولبرج. وفي وقت لاحق عاد إلى هامبورج، وظل يعطي ويخدم في الكنائس حتى رحل عن عالمنا الفانى في ١٨ سبتمبر ٢٠٠٥م[2].

زار أوتو فريدريش أغسطس ميناردوس وادي النطرون في عام ١٩٦٠م، وذكر في مجلده الثمين عن الأديرة المصرية، إن دير السريان العامر مشهور ومعروف جدًّا لدي العديد من الزائرين الأوروبين، وفي النصف الثاني من القرن العشرين تضاعف أعداد الرحالة الأجانب من أمريكا وأستراليا وكندا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وروسيا والسويد وسويسرا [3].

---

(1) https://de.wikipedia.org/wiki/Otto_Friedrich_August_Meinardus.

(2) Ibid.

(٣) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٤.